اجاثا كريستي



الطيور السوداء

أجاثا كريستي

{1976 - 1890}

-الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى 103 لغات.

- بيع من كتبها أكثر من 900 مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

- كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصَّبها ملكة عليهم جميعًا. تميَّزت أيضًا بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمَّنت أيضًا أهدافًا إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

الطيور السوداء
A Pocket Full of Rye

تمَّتْ ثَلاثُ جرائمَ قَتل في أوْقات مُتقاربةٍ، وكان القاتِلُ في مُنْتَهى الذَّكاءِ والحذرِ، فكان حريصًا على ألاَّ يترُكَ أثَرًا وَرَاءهُ يَكْشِفُ عن شَخْصيَّته.

تولّى هذه القضيَّة «نيل» مُفتِّش الشُّرطَة المشْهُور بذكائه وخبرْتِه في كَشْفِ الجرائم الغامضةِ والمعقَّدة، ومعه مُساعِدُه «هاي». فهل يستطيعانِ كشْف غُمُوض هذه الجرائمَ الثلاثِ، والتوصُّلَ إلى معرفةِ القَاتِلِ الغامضِ؟!

هذا ما سَوف تَعْرِفُه - عزيزي القارِئ - عند قَراءتِكَ هذه الرِّوايةَ.

ثمن الكتاب

لبنان	5000 ل.ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	100 ل.س.	عُمان	1.5 ريال
الاردن	1.5 دينار	مصر	10 جنيهات
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	5 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1.5 دينار	اليمن	400 ريال

9 789953 383675

الطيور السوداء

برنارد الأسطه

يقدّم

الرواية المعرَّبة

الطيور السوداء

(62)

تأليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

تعريب الأديب الراحل

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

دار ميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.

ص.ب 374 جونيه – لبنان

تلفون 666 212 9 961 00 فاكس 665 212 9 961 00

www.inter-press.org Email:info@inter-press.org

وكلاء التوزيع

المركز الدولي للصحافة – دار البشير – دار إي بي سي

الاسم الأصلي للرواية

A Pocket Full of Rye

(1953)

الغلاف بريشة الفنان

سمير غنطوس

- 1 -

كـان لـلشـاي الذي يقـدم إلى السـيـد "**ريكس فورتسكيـو**" مـدير شـركـة الاستثمارات المتحدة إجراءات وطقوس خاصة تختلف عن إجراءات الشاي العادية الذي يقدم إلى سائر موظفي المكتب في هذه الفترة الصباحية.. كانت سكرتيرته الخاصة الآنسة "**جروسفنور**" الشقراء الفاتنة تعد له شايا من النوع الممتاز في قدح مع بسكويت فاخر... وقد حملت الآن صحفة الشاي ومرت بخطواتها الرشيقة في غرفة العاملات على الآلة الكاتبة في ترفُّع وكبرياء، دون أن توجه إلى إحداهن كلمة أو حتى نظرة، ثم طرقت الباب بخفة ودلفت إلى حيث مكتب السيد "**فورتسكيو**"... ... وكان السيد "**فورتسكيو**" رجلا ضخما مترهلا تعلو رأسه صلعة لامعة... وعندما دخلت عليه سكرتيرته كان يتفحص بعض الأوراق فوق مكتبه... وقد وضعت الآنسة "**جروسفنور**" الصحفة على المكتب وهي تغمغم قائلة:

– الشاي يا سيد "**فورتسكيو**"... ثم انسحبت على الأثر دون أن تظفر منه في نهاية المراسم إلا بهمهمة مبهمة...وعادت الآنسة "**جروسفنور**" إلى مكتبها واستأنفت الأعمال الموكولة إليها بهمة ونشاط... لقد ظلمتها الشائعات الحاسدة وقالت إنها أكثر من مجرد سكرتيرة خاصة، والواقع كان غير هذا تمامًا. فإن السيد "**فورتسكيو**" قد تزوج منذ عهد قريب للمرة الثانية، وكانت زوجته الجديدة الفاتنة قادرة تمامًا على الاستحواذ على كل مشاعره، مهما يكن له من السكرتيرات الفاتنات... وهكذا لم تكن الآنسة "**جروسفنور**" بالنسبة إلى رب الشركة المالية الكبرى أكثر من مجرد «زينة»مكملة في المكتب الأنيق الرائع..

وانهمكت الآنسة "**جروسفنور**" في الرد على مكالمة تليفونية.. عندما وضعت السماعة حانت منها نظرة إلى الساعة فكانت الحادية عشرة وعشر دقائق.. في هذه اللحظة بالذات صدر من خلف باب المدير صوت غير عادي... صوت مكتوم محتبس، كان أشبه بصرخة ألم مختنقة.. وفي اللحظة نفسها انبعث الجرس

الموضوع على مكتب السكرتيرة يرن رنينا طويلا ممتدا محموما... فأجفلت الآنسة "**جروسفنور**" وتملكها التردد حتى جمدت مكانها متحيرة برهة، ثم نهضت وتقدمت إلى الباب وطرقته ودخلت. ولكن ما وقعت عليه عيناها جعلها تفقد توازنها... فقد شاهدت مخدومها خلف المكتب الضخم يتلوى ألمًا وقد تقلصت سحنته فصاحت الفتاة منزعجة:

– ماذا بك يا سيد "**فورتسكيو**" ؟ هل تشعر بمرض؟ كان من البلاهة أن تسأل هذا السؤال... فقد كانت حالة الرجل واضحة ... والواقع أن جسده اختلج بعنف من فرط الألم الذي كان يمزقه... وخرجت الكلمات من فمه في شهيق متقطع:

– الشاي! ماذا بحق جهنم... وضعت فيه؟ اطلبي النجدة! أسرعي، اطلبي الطبيب! وسرعان ما هربت الآنسة "**جروسفنور**" من الغرفة... لم تعد الشقراء الفاتنة، بل فتاة تملكها الذعر والفزع.. وما كادت تصل إلى غرفة الكاتبات على الآلة حتى هتفت:

– السيد "**فورتسكيو**" أصيب بنوبة! لابد من طلب طبيب! إن منظره مخيف! أنا واثقة بأنه يحتضر .

وكانت ردة الفعل في الغرفة متباينة... إذ قالت الآنسة "**بيل**" أصغر الكاتبات على الآلة:

– إذا كانت نوبة صرع فلابد من وضع قطعة فلين في فمه.. من عندها قطعة فلين؟ فلم توجد بينهن من كانت عندها قطعة فلين... قالت الآنسة "**جريفيث**" رئيسة الفتيات :

– لا بد من استدعاء طبيب... في الحال... وكانت المشكلة هي العثور على طبيب في مكان قريب... واقترحت إحداهن الاستنجاد بالإسعاف وأسرعت تبحث عن الرقم في دليل التليفونات... وفي هذه الأثناء تذكرت الآنسة "**جريفيث**" اسم الدكتور "**أدوين ساندمان**" طبيب مخدومها الخاص، وأسرعت تبحث عن رقم تليفونه بعد أن كلفت ساعي المكتب بالبحث عن أي طبيب في المنطقة... وفي خلال ذلك هوت السكرتيرة الخاصة على مقعد وراحت تندب

حظها قائلة:

– إنني أعددت له الشاي كالعادة. لم يكن به أي شيء غير عادي! توقفت يد رئيسة المكتب وهي تدير قرص التليفون قائلة:

– شيء غير عادي! لماذا تقولين هذا؟

– لأن السيد "**فورتسكيو**" قال إن الشاي هو السبب!.. وبعد فترة قصيرة تقابل عند مصعدالعمارة الدكتور "**ويلكز**" طبيب المستشفى القريب والدكتور "**أدوين ساندمان**" الطبيب الخاص، كما توقفت سيارتا إسعاف أمام الباب الخارجي في وقت واحد... فإن التليفون وساعي المكتب كان لهما التأثير المطلوب...

- 2 -

جلس "**نيل**" مفتش البوليس خلف مكتب "**فورتسكيو**" الضخم، وعن كثب منه جلس أحد مساعديه يسجل في دفتر المحاضر كل ما يقال..

وعلى الرغم من أن "**نيل**" كان له مظهر مفتش البوليس النظامي المتمسك بالروتين إلا أنه كان رجلا واسع الأفق، وكان من أساليبه في البحث والتحري أن يفترض لنفسه نظريات عجيبة في الإدانة يأخذ في تطبيقها على من يقوم باستجوابهم، وهو ما فعله في هذه المناسبة.ولقد فرغت الآنسة "**جريفيث**" رئيسة الكاتبات على الآلة الكاتبة من إعطائه تقريرا موجزا دقيقا عن الأحداث التي وقعت صباح اليوم، وأدت إلى وجوده الآن في هذا المكتب... وبتطبيق نظرياته فإنه استبعد أن تكون هي التي دست السم في قدح الشاي الذي تناوله مخدومها للأسباب المنطقية التالية:

أولاً: لأنها ليست من طراز من يستخدمن السم.

ثانيًا: لأنها ليست على علاقة حب مع مخدومها.

ثالثًا: لأن حالتها لا تدل على خبل عقلي.

رابعًا: لأنها ليست من النوع الحاقد الذي يفكر في الانتقام.

هكذا استبعد المفتش الآنسة "**جريفيث**" من دائرة الشك والاتهام.. ولم تعد في نظره إلا كمصدر دقيق للمعلومات.. وصوب المفتش "**نيل**" نظره إلى التليفون... لقد كان في انتظار مكالمة من مستشفى "**سانت جود**" في أية لحظة.

وكان من الجائز بالطبع أن تكون النوبة المفاجئة التي داهمت "**فورتسكيو**" وليدة أسباب طبيعية... ولكن هذا لم يكن رأي الطبيبين اللذين خفّا لإسعافه.... ولم يلبث المفتش "**نيل**" أن ضغط على الجرس طالبا حضور سكرتيرة "**فورتسكيو**" الخاصة وكانت الآنسة "**جروسفنور**" قد تغلبت قليلا على اضطرابها فأشار إليها المفتش أن تجلس وقال لها بمودة:

– أنت إذن التي جهزت الشاي للسيد "**فورتسكيو**".

– نعم... إنني أجهزه له دائما في هذه الفترة الصباحية...

راح المفتش "**نيل**" يستجوب السكرتيرة الخاصة متمهلا... إن قدح الشاي والطبق والإناء قد أرسلت فعلا إلى المعمل الجنائي لإجراء التحليلات اللازمة... وقد عرف الآن أن الآنسة "**جروسفنور**" هي وحدها التي تداولت يدها القدح والطبق والإناء... أما الماء المغلي فقد أخذته السكرتيرة من «الغلاية» التي تستعمل لإعداد الشاي لموظفات المكتب. وتابع المفتش أسئلته قائلا:

– والشاي نفسه؟

– هو الشاي الخاص بالسيد "**فورتسكيو**" وحده: شاي صيني... وهو يحفظ فوق رف بغرفتي. وعندما استفهم المفتش عن السكر قالت الفتاة إن مخدومها كان يشرب الشاي بغير سكر...

ودق جرس التليفون في هذه اللحظة... وعندما رفع "**نيل**" السماعة كانت المكالمة من مستشفى "**سانت جود**" فأومأ برأسه للفتاة يأذن لها بالانصراف مؤقتا.. واستمع إلى بيان المستشفى وهو يدون كلمات موجزة على ورقة أمامه... ثم قال بعد أن نظر إلى ساعة يده:

– توفي منذ خمس دقائق؟ في الساعة 12 والدقيقة 43... وقيل له إن الدكتور "**بيرنز دورف**" يريد أن يكلمه... وكان المفتش قد تعرف إلى هذا الطبيب في

قضية تسميم منذ عام ونشأت بينهما صداقة... وما لبث أن سمع الطبيب يقول له في السماعة بصوته الجهوري :

– آلو يا "**نيل**"... أيها النسر العجوز! هل هي قضية جديدة مع جثثك التي لا تنتهي؟

– سمعت يا دكتور أن صاحبنا توفي...

– نعم... لم يكن في الإمكان أن نفعل شيئا بعد أن جاءوا به إلى هنا...

– وسبب الوفاة؟

– لا بد من تشريح الجثة بالطبع... إنها حالة طريفة... حالة طريفة جداً.... يسرني أنني أشرف عليها.

– هل تظن يا دكتور أنه مات مسموما؟

– قطعا... وأكثر من هذا... فيمكنني أن أراهن على نوع السم المستخدم في الحادث.

– أحقا؟

– هو مادة اسمها «**تاكسين**» يابني...

– «**تاكسين**»؟... إنني لم أسمع بهذا الاسم من قبل يا دكتور...

– أنا أعرف هذا... هي حالة نادرة جداً في الواقع. والحقيقة أنني ما كنت لأستطيع أن أتوصل إلى هذا لولا أنني صادفت حالة مماثلة منذ ثلاثة أو أربعة أسابيع فقط.. كانت حالة أطفال يمثلون بالعرائس حفلة شاي. فقطفوا ثمار «العليق»من شجرة «طقسوس» واستعملوها بدل الشاي. ولم أسمع في حياتي عن حالة استعملت فيها هذه المادة السامة عمدا؛ ولذلك فإن هذه القضية طريفة من وجهة نظري، وأعتقد أنها ستكون طريفة بالنسبة إليك أيضاً؛ لأنها ستخرج عن دائرة الروتين...

– صدقت... وإن كان الضحية المسكين لن يشاركنا في هذا الرأي... ترى هل قال شيئًا قبل وفاته؟

– كان هناك واحد من رجالكم بقربه يدون ما يقوله ويمكنك أن تجد عنده نص

أقوال المتوفى. . .إنه تفوه بشيء عن الشاي. . . قال إنه قد وضع له شيء في الشاي في المكتب، لكن هذا كلام فارغ بالطبع. . .

– ولماذا؟

– لأن هذه المادة لا يمكن أن يظهر تأثيرها بمثل هذه السرعة. . . إنني فهمت أن أعراض التسمم ظهرت عليه عقب شرب الشاي مباشرة.

– هذا ما قالوه. .

– حسنا. . . هناك حالات قليلة جدًّا يظهر فيها تأثير السم بمثل هذه السرعة فيما عدا سم «**السيانيد**» بالطبع، وربما «**النيكوتين**» النقي أيضاً.

– وما الفترة التي يستغرقها مفعول هذه المادة؟

– حسب الظروف. . . ربما ساعتين. . . أو ثلاث ساعات. . . إن حالة المتوفى تدل على أنه كان أكولا. . . وإذا كان قد تناول إفطارا دسما حافلا، فإن هذا يبطئ من تأثير السم.

– الإفطار؟ نعم يبدو أنه طعام الإفطار. . . قال الدكتور "**بيرنز دورف**" ضاحكا:

– نعم. . الإفطار القاتل. . . حسناً. . . أتمنى لك صيدا موفقا يا بنيّ. . . إلى اللقاء. . . وعلى الأثر تحدث إليه مساعده "**هاي**" من المستشفى قائلا:

– إن المتوفى قرر أنه الشاي الذي شربه في المكتب. . . ولكن الطبيب يقول غير هذا. . .

– إنني عرفت كل ما يتصل بهذه النقطة. . . هل من شيء آخر؟

– لا يا سيدي. . . لكن هناك مسألة غريبة. . . إنني فتشت جيوب البدلة التي كان يرتديها. . . فوجدت المحتويات عادية. . . لكن جيب السترة الأيمن وجدت فيه بعض الحبوب.

– حبوب؟

– نعم يا سيدي. . .

– ماذا تعني؟ هل تقصد حبوب الإفطار الغذائية المركزة أو حبوب مثل القمح أو الشعير ؟

– صدقت يا سيدي.... إنها تشبه حبوب الشعير... وجدت كمية كبيرة منها في الجيب..

– غريب... لكن ربما كانت عينات تجارية خاصة ببعض الصفقات...

– تمامًا يا سيدي... لكنني فضلت أن أذكر لك الموضوع...

– أصبت يا "**هاي**" ... وضع المفتش سماعة التليفون وجلس برهة يحدق أمامه مستغرقا في التفكير... لقد انتقل الآن من مرحلة احتمال الشك في وجود تسمم إلى مرحلة اليقين من حدوث هذا التسمم... إن الدكتور "**بيرنز دورف**" ليس بالرجل الذي يلقي الكلام على عواهنه... إذن فإن "**ريكس فورتسكيو**" مات بالسم، والأرجح أن السم قد دس له منذ فترة تتراوح بين ساعة وثلاث ساعات قبل ظهور الأعراض الأولى... ويحتمل الآن أن تكون هيئة مكتبه لا علاقة لها بالجريمة...

لم يلبث المفتش "**نيل**" أن نهض من مكانه وانتقل إلى المكتب الخارجي... وخاطب رئيسة المكتب قائلا:

– الآنسة "**جريفيث**" ... هل يمكن أن أتكلم معك مرة ثانية؟

– بالطبع... وتبعته الآنسة "**جريفيث**" إلى مكتب المدير وجلست أمامه هادئة فقال لها بلا مقدمات:

– تلقيت الآن من مستشفى "**سانت جود**" أن السيد "**فورتسكيو**" توفي في الساعة 12 والدقيقة 43... تلقت الآنسة "**جريفيث**" النبأ بلا دهشة... وهزت رأسها قائلة:

– كنت واثقة بأنه في حالة سيئة...

– هل يمكنك أن تزوديني بمعلومات عن بيته وأسرته؟

– بالتأكيد. إنني حاولت الاتصال توًّا بالسيدة "**فورتسكيو**" لكن يبدو أنها خرجت من المنزل لكي تلعب «الجولف» فليس منتظرا أن تعود إلى البيت في موعد الغداء... هناك شك في اسم الملعب الذي ذهبت إليه.. إن البيت في ضاحية "**بايدون هيث**" وهذه المنطقة مركز لثلاثة ملاعب «جولف» معروفة...

– ما العنوان بالضبط... ورقم التليفون أيضًا؟

– "**بايدون هيث**" 3400 والبيت معروف باسم "**يورتري لودج**" ...

– أيمكنك أن تزوديني الآن بمعلومات عن الأسرة؟

– إن السيدة "**فورتسكيو**" هي زوجته الثانية.. وهي أصغر منه كثيراً.. إنهما قد تزوجا منذ حوالي سنتين... أما زوجته الأولى فقد توفيت منذ مدة طويلة... وله ولدان وبنت من زوجته الأولى... والابنة تقيم في البيت نفسه، وكذلك الابن الأكبر الذي هو شريك في الشركة... ومن سوء الحظ أنه سافر إلى شمال "**إنجلترا**" في رحلة عمل، وينتظر أن يعود غداً ..

– متى سافر؟

–أول أمس..

– هل حاولتم الاتصال به؟

– نعم.. بعد نقل السيد "**فورتسكيو**" إلى المستشفى اتصلت تليفونيا بفندق "**ميدلاند**" في مدينة "**مانشستر**" حيث كنت أعتقد أنه نازل هناك، لكنه غادر الفندق في وقت مبكر صباح اليوم... وبإمكاني إعطاؤكم أسماء عدة شركات كان من المقرر أن يزورها في مدينتي "**شفيلد**" و"**ليسستر**".

– قلت إن له ابنا ثانيا؟

– نعم... لكنه مقيم في الخارج بسبب خلاف مع والده...

– وهل الابنان متزوجان؟

– نعم... السيد "**برسيفال**" الابن الأكبر متزوج منذ ثلاث سنوات، وهو يشغل مع زوجته جناحا خاصا في "**يورتري لودج**" وإن كان من المقرر أن ينتقلا إلى مسكنهما الخاص في "**بايدون هيث**" قريبا...

– ألم تتمكني من الاتصال بالسيدة "**برسيفال**" عندما اتصلت بالمنزل تليفونيا صباح اليوم؟

– قيل لي إنها ذهبت إلى "**لندن**" لقضاء اليوم كله... والسيد "**لانس**" الابن الأصغر تزوج منذ أقل من سنة أرملة الأمير "**فردريك أنستايس**"... أظنك رأيت

صورها منشورة في مجلة "**تاتلر**".

كانت الآنسة "**جريفيث**" تدلي بهذه البيانات وقد تورد وجهها انفعالا... لا شك في أن هذه الأسماء الأرستقراطية تبهر أمثالها لكن لعلها لا تعرف - مثلما كان المفتش "**نيل**" يعرف - أن الأمير "**فردريك أنستايس**" كانت له سمعة سيئة في عالم الرياضة، وأنه انتحر بإطلاق الرصاص على رأسه قبيل التحقيق معه بخصوص أحد خيوله المشتركة في السباق.. وقد تذكر "**نيل**" الآن أنه سمع وقتها أن زوجة الأمير المنتحر كانت ابنة أحد النبلاء الأيرلنديين، وأنها كانت متزوجة من قبل طيارا قتل في معركة "**بريطانيا**" في أثناء الحرب العالمية... وها هو ذا يعلم الآن أنها تزوجت للمرة الثالثة الابن العاق "**لانس فورتسكيو**"، إذ ليس من شك في أنه فعل شيئا شائنا أدى إلى هذه القطيعة بينه وبين أبيه... وأدنى المفتش "**نيل**" التليفون منه وأدار رقم منزل الأسرة وبعد فترة رد عليه صوت رجل يقول:

- هنا "**بايدون هيث**" 3400.

- أريد أن أكلم زوجة السيد "**فورتسكيو**"، أو ابنته.

- آسف... الاثنتان غائبتان...

- هل أنت كبير الخدم؟

- نعم...

- إن السيد "**فورتسكيو**" في حالة مرضية خطيرة...

- عرفنا هذا بعد أن كلمونا تليفونيا... إن السيد "**برسيفال**" مسافر في الشمال، والسيدة "**فورتسكيو**" خرجت للعب الجولف، والسيدة "**برسيفال**" ذهبت إلى "**لندن**"... ولكنها ستعود في موعد العشاء... والآنسة "**إيلين**" خرجت مع فتيات الكشافة...

- ألا يوجد شخص أتحدث معه عن مرض السيد "**فورتسكيو**"... المسألة مهمة جدًا...

- هناك الآنسة "**رامسيوم**"، ولكنها لا تتكلم في التليفون بالمرة، وتوجد أيضًا الآنسة "**دوف**".. إنها مشرفة المنزل.

– أريد أن أكلم الآنسة "**دوف**".. إذن... وبعد نحو دقيقتين سمع المفتش "**نيل**" صوتا نسائيا يقول:

– أنا الآنسة "**دوف**"... قدر المفتش "**نيل**" من لهجة المتكلمة ونبرات صوتها أنها ذات شخصية... فقال لها:

– يؤسفني أن أخبرك يا آنسة "**دوف**" بأن السيد "**فورتسكيو**" توفي في مستشفى "**سانت جود**" منذ فترة قصيرة... إنه أصيب بنوبة فجائية في المكتب... ويهمني جداً أن أتصل بأقاربه...

– هذا محزن جداًّ... إن الشخص الذي يجب أن تكلمه هو ابنه السيد "**برسيفال فورتسكيو**"... لكنه مسافر في مدن الشمال في رحلة عمل...

أما الزوجة السيدة "**فورتسكيو**" فإنها ستعود في موعد العشاء بالتأكيد وربما تعود في وقت الشاي، إنها ستكون صدمة شديدة لها.. لا بد أن ما حدث كان مفاجئا، فإن السيد "**فورتسكيو**" كان في صحة تامة عند خروجه من البيت في الصباح...

– هل رأيته قبل خروجه؟

– نعم... هل تتكلم من مستشفى "**سانت جود**"؟ هل أنت طبيب؟

– لا يا آنسة "**دوف**"... أنا لست طبيبا... إنني أكلمك من مكتب السيد "**فورتسكيو**"... أنا مفتش البوليس السري "**نيل**" من "**اسكتلنديارد**"، وسأحضر عندكم بعد قليل...

– مفتش البوليس السري... هل تقصد..؟

– إنها حالة وفاة مفاجئة يا آنسة "**دوف**" وعندما تكون هناك حالة وفاة مفاجئة فإنهم يستدعوننا على الفور إلى مكان الحادث، خصوصا إذا كان المتوفى لم يعرض نفسه على طبيب مؤخرا وهو ما أعتقد أنه يطابق هذه الحالة.

– مفهوم... إن "**برسيفال**" رتب له موعدين مع طبيب لكنه لم يحافظ على أي موعد منهما... وتوقفت عن إتمام كلامها... ولم تلبث أن استطردت تقول بصوت هادئ:

– إذا عادت السيدة "**فورتسكيو**" إلى البيت قبل حضورك فماذا تريد أن أقول لها؟ فقال المفتش "**نيل**" وقد وجدها امرأة عملية:

– قولي لها إنه عند حدوث وفيات مفاجئة فإنه لا بد لنا من إجراء تحريات.

ووضع سماعة التليفون.

- 3 -

أزاح المفتش "**نيل**" التليفون بعيدا ونظر بحدة إلى الآنسة "**جريفيث**" قائلا:

– إذن فإنهم كانوا قلقين عليه الفترة الأخيرة، وكانوا يريدون أن يعرض نفسه على طبيب. إنك لم تخبريني بهذا..

– الحقيقة أنه لم يظهر أمامي في حالة يبدو منها المرض...

– إذن كيف يبدو؟ فراحت الآنسة "**جريفيث**" تقول:

– ما أصعب أن أقول الحقيقة... كانت تنتابه أحيانا حالات يبدو فيها متغير المزاج، كثير الصخب.. ومعظم الخمس عشرة سنة التي اشتغلت فيها عنده كان كتوما لا يتكلم عن شؤونه... ولكنه أصبح مختلفا في العهد الأخير... كان يتوسع في الإنفاق، ويبذر المال بلا حساب... كل ما يمكن أن أقوله إنه لم يكن مثل سابق عادته... وكان هذا يقلق السيد "**برسيفال**" كثيرا...

– آه... هل كان يقلقه إذن؟

– نعم... إن السيد "**برسيفال**" كان دائمًا مطلعا على دخائل العمل.. كان والده يعتمد عليه... لكن في الفترة الأخيرة...

– في الفترة الأخيرة لم تكن الأحوال بينهما على ما يرام؟

– حسنًا... إن السيد "**فورتسكيو**" كانت تصدر منه أعمال لم تكن حكيمة في نظر السيد "**برسيفال**".. إن السيد "**برسيفال**" كان دائمًا دقيقا في عمله وحكيما في تصرفاته... لكن فجأة أصبح السيد "**فورتسكيو**" لا يستمع إليه.. وهذا أزعج السيد "**برسيفال**" كثيرا...

– هل حدث بينهما شجار بشأن هذا كله؟

– إنه خرج وراءه مرة إلى غرفة الكاتبات على الآلة وسبه ووصفه بأنه كاتب صغير غبي، وليس له أفق واسع واستعداد لعقد الصفقات الكبرى.. وقال له أيضاً «إنني سأدعو "**لانس**" لكي يعود إلى هنا.. إنه يساوي عشرة من أمثالك، ثم إنه متزوج زواجا «راقيا».... إن "**لانس**" عنده الجرأة حتى ولو كان قد اتهم مرة بفعلة إجرامية»... وعندئذ شكرها المفتش "**نيل**" وطلب منها أن ترسل إليه الآنسة "**جروسفنور**" السكرتيرة الخاصة مرة أخرى. وأقبلت الآنسة "**جروسفنور**" رافعة الرأس متعالية بعد أن تمالكت نفسها الآن وعادت إليها فتنتها السابقة.... وقالت:

– هل أردت أن تراني؟

– أود أن أسألك بعض الأسئلة عن مخدومك... فقالت الفتاة بلهجة لا تشف عن الإخلاص:

– مسكين.

– أريد أن أسأل إن كنت قد لاحظت أشياء غير عادية في أحواله أخيرا.

– ربما كنت لا أستطيع أن أذكر هذا بوضوح... إنه كان أحيانا يتكلم كلاما أجوف يبدو لي غير معقول. وكان يستسلم للغضب بسهولة... خصوصا مع السيد "**برسيفال**"... أما من ناحيتي فإنه لم يبادرني قط بشيء كهذا؛ لأنني كنت دائماً مثال الطاعة.

– هل.. هل تجاوز مرة وتحبب إليك؟ فأجابت السكرتيرة بلهجة أقرب إلى الأسف:

– الحقيقة لا.. لا يمكن أن أقول إنه فعل هذا بالضبط.

– هناك مسألة أخيرة يا آنسة "**جروسفنور**"... هل اعتاد السيد "**فورتسكيو**" أن يضع في جيبه بعض الحبوب؟ فأجابت الفتاة وقد بدت عليها دهشة شديدة:

– حبوب؟... في جيبه؟ هل تقصد حبوبا لإطعام الحمام أو أي شيء من هذا القبيل؟

– ربما كانت لهذا الغرض...

ـ أنا متأكدة أنه لم يفعل شيئًا كهذا... السيد "**فورتسكيو**" يطعم الحمام؟!

آه... لا...

ـ هل كان من المحتمل أن يحمل في جيبه اليوم حبوب الشعير لأي غرض معين؟ عينة مثلا... من أجل صفقة حبوب؟

ـ آه... لا... إن مواعيده كانت محددة اليوم لمقابلة ممثلي شركة البترول الآسيوية، ورئيس مجلس إدارة شركة "**أتيكوس**" للإنشاءات... لم يكن لينتظر أحدا آخر...

ـ شكرا.

- 4 -

توقفت "**ماري دوف**" برهة وهي في طريقها إلى الطابق الأرضي وتطلعت من النافذة الكبيرة المطلة على السلم... شاهدت سيارة وقفت لدى الباب الأمامي وهبط منها رجلان قدرت أن أحدهما هو المفتش "**نيل**" والثاني مساعده..

ولم تلبث أن تحولت عن النافذة وراحت تتأمل نفسها في المرآة الطويلة المثبتة على الحائط قرب السلم... شاهدت قواما نحيلا رشيقا يرتدي زيًا رماديًا يعلوه ياقة بيضاء ناصعة... وكان شعرها الأسود مفروقا في وسط الرأس ومسحوبا إلى الخلف في ضفيرتين لامعتين، وكان الطلاء الذي علا شفتيها ورديا فاتحا. شعرت "**ماري دوف**" بارتياح إلى صورتها... وهكذا هبطت السلم وقد ارتسمت ابتسامة يسيرة على شفتيها...

وفي الخارج كان المفتش "**نيل**" يتأمل المنزل مبهورا.. كان قصرا فخما بكل معاني الكلمة تحف به حدائق واسعة وأسوار من الأشجار المشذبة بعناية.

ضغط المفتش "**نيل**" على الجرس... وفي الحال فتح له رجل عرفه في الحال كما تصوره وهو يكلمه بالتليفون... إذ كان أنيقا، مذبذب النظرات، مهتز اليدين... وهو صورة كبير الخدم كما تخيله بالضبط...

وبعد أن قدم المفتش "**نيل**" نفسه ومساعده تجاوز عن نظرة الانزعاج التي بدت

على الرجل، وطلب منه مقابلة الآنسة "**دوف**"، فقال الرجل ملتفتا إلى ناحية السلم:

– ها هي ذي الآنسة "**دوف**" نازلة على السلم. ولأول مرة خالف الواقع تخيلات المفتش "**نيل**" عن شخص مشرفة المنزل... فقد ألفى أمامه امرأة شابة نحيلة منمقة دون الثلاثين... وبدت أمامه بابتسامتها وهدوئها التام أبعد شيء عن مشرفات البيوت... قال لها المفتش بعد التعارف:

– إن السيد "**فورتسكيو**" تُوفي في مستشفى "**سانت جود**" في الساعة 12:43 كما أخبرتك بالتليفون... ويبدو من المحتمل أن وفاته كانت نتيجة لشيء تناوله في طعام الإفطار صباح اليوم، ويسرني إذن أن يسمح لزميلي "**هاي**" بالذهاب إلى المطبخ ليقوم بالتحريات اللازمة عن الطعام الذي قُدم في هذه الوجبة. تلاقت عيناها بعينيه برهة كانت فيها تفكر. ولم تلبث أن أومأت إيجابا، ثم التفتت إلى كبير الخدم الذي وقف عن كِثب متململا وقالت له:

– "**كرامب**" ... اذهب مع السيد "**هاي**" وأره كل ما يريد أن يراه... وابتعد الرجلان معا.. فقالت "**ماري دوف**" للمفتش:

– هل تتفضل بالدخول هنا؟ وفتحت بابا تعلوه رقعة صغيرة كتب عليها «غرفة التدخين» وكانت غرفة فاخرة الأثاث... ودعته إلى الجلوس وجلست أمامه وقالت على الأثر:

– من سوء الحظ أنه لا يوجد الآن أحد من أفراد الأسرة... إن السيدة "**فورتسكيو**" قد تعود في أي وقت.. وكذلك السيدة "**برسيفال**".. وقد أرسلت إلى السيد "**برسيفال**" برقيات في أماكن متعددة...

– أشكرك يا آنسة "**دوف**" ... قالوا إن سبب وفاة السيد "**فورتسكيو**" ربما يكون بسبب شيء تناوله في طعام الإفطار.

– هل تقصد أنه تسمم غذائي؟ فأجاب المفتش وهو يراقب ملامحها:

– ربما... فراحت تقول بهدوء ورباطة جأش:

– يبدو أن هذا غير محتمل..إن طعام الإفطار هذا الصباح كان مكونا من

البيض المقلي واللحم المقدد والقهوة والتوست ومربى النارنج . . .

– أراك تعرفين جيداً كل الأصناف التي قدمت في الإفطار؟

– طبيعي . إنني أتكفل بتشكيل قائمة الطعام . .

– هل يمكنك أن تذكري لي بالضبط ما الذي أكله وشربه السيد "**فورتسكيو**" قبل خروجه من المنزل صباح اليوم؟

– إنه طلب إحضار الشاي له في غرفته في الساعة الثامنة . . . وتناول الإفطار في الساعة التاسعة والربع . . .

– هل تناول أي نوع من الحبوب؟

– لا . . . فهو لم يكن ليحبها . . .

– والسكر الذي قدم مع القهوة . . . هل كان قطعا أم مجروشا؟

– كان قطعا . . . لكن السيد "**فورتسكيو**" لم يكن ليتناول السكر في القهوة . . .

– من كان على مائدة الإفطار؟

– السيدة "**فورتسكيو**" . . وابنته الآنسة "**إيلين**" . . والسيدة "**برسيفال**" زوجة ابنه الأكبر . . . أما السيد "**برسيفال**" فكان على سفر . . .

– وهل تناولت السيدتان الطعام نفسه في الإفطار؟

– إن السيدة "**فورتسكيو**" لا تتناول سوى القهوة وعصير البرتقال، والتوست . . . أما السيدة "**برسيفال**" والآنسة "**إيلين**" فإنهما تتناولان إفطارا كاملا، والسيدة "**برسيفال**" تشرب الشاي لا القهوة . . . أخلد المفتش "**نيل**" إلى التأمل برهة . . . لقد بدأت الدائرة تضيق الآن . . . هناك ثلاثة أشخاص تناولوا الإفطار مع المتوفى . . . زوجته، وابنته، وزوجة ابنه . . وربما سنحت لواحدة منهن الفرصة لدس "**التاكسين**" في فنجان القهوة الذي شربه . . . . إن مرارة القهوة يمكن أن تحجب مرارة طعم "**التاكسين**" . . . وهناك الشاي الذي قدم له في الصباح . . . ولكن الدكتور "**بيرنز دورف**" قرر له أن طعم "**التاكسين**" يكون ملحوظا في الشاي . . . لكن ربما في بكرة الصباح والحواس لم تتنبه ولم تنشط بعد . . . ورفع المفتش رأسه لكي يجد "**ماري دوف**" تراقبه . . . فسألها :

– هل عندك أية فكرة يا آنسة "**دوف**" عمن يكون الفاعل؟ فهزت كتفيها قائلة:

– أصارحك أنه كان رجلا كريها... وأي إنسان كان يود أن يفعل هذه الفعلة..

– لكن الناس لا يوضع لهم السم لمجرد كونهم مكروهين... لابد في العادة من وجود دافع قوي...

– نعم... بالطبع...

– هل هناك مانع من أن تذكري لي شيئًا عن أفراد الأسرة؟ رآها تتطلع إليه... وأدهشه ما بدا له في عينيها من أمارات الهدوء والثبات وقالت له:

– لا يمكن أن يكون هذا نوعا من المحاضر الرسمية؛ لأن مساعدك مشغول في المطبخ باستجواب الخدم... إنني لا أحب أن تقرأ الأقوال التي أقولها علنا في المحاكم... ولكنني أفضل أن أذكرها لك بصفة غير رسمية...

– تكلمي إذن يا آنسة "**دوف**"... لا شهود عليك الآن كما قلت...

– أبدأ كلامي بأن أقول لك إنني لا أشعر بأي ولاء للأسرة التي أخدمها... إنني أعمل عندهم لأنه عمل يهيئ لي مرتبا طيبا، وسأحدثك الآن عن انطباعاتي من ناحيتهم... كل شخص فيهم كريه بغيض... المرحوم السيد "**فورتسكيو**" كان مجرما يحرص على التظاهر بالشرف والاستقامة... وكان يفخر دائمًا بمعاملاته البارعة... إنه كان مخلوقا فظا متنمرا يستأسد على من هم أضعف منه... والسيدة "**فورتسكيو**" أو "**أديل**" هي زوجته الثانية وهي أصغر منه بثلاثين سنة... لقد التقى بها في المصيف... وكانت تعمل في تجميل السيدات، وكانت تتحين الفرص لاصطياد أي رجل واسع الثراء... إنها جميلة جدًّا... إنها مغرية بكل معاني الكلمة... وإذا كان المفتش "**نيل**" قد دهش من جرأة المشرفة في اختيار أوصافها، إلا أنه تغلب على شعوره، بينما استطردت تقول في هدوء:

–إن "**أديل**" تزوجته لماله بالطبع، وقد أوغر هذا صدر ابنه "**برسيفال**" وابنته "**إيلين**"... إنهما يعاملانها بكل جفاء، ولكنها تتجاهل هذا دهاء منها... فهي تعرف أنها مستحوذة على الرجل العجوز، وتعرف كيف توجهه لأغراضها...

– حدثيني الآن عن ابنه..

– "**برسيفال**"؟ إنه شخص منافق ماكر مخادع... وهو شديد الخوف من أبيه... وكان يبتلع دائمًا معاملته القاسية له... لكنه ماهر جدًا ويعرف كيف يصل إلى أغراضه... وهو بعكس والده شحيح فيما يختص بالمال... إن الاقتصاد هو هوايته الأولى، وهذا هو السبب في أنه أطال البحث عن مسكن خاص له، إن إقامته في جناح هنا توفر له الكثير...

– وزوجته؟

– إن "**جنيفر**" متواضعة، وربما كانت غبية.. كانت تعمل ممرضة في أحد المستشفيات قبل زواجها... وقد أشرفت على تمريض "**برسيفال**" في أثناء إصابته بالتهاب رئوي، وكانت الخاتمة السعيدة هي الزواج... والواقع أن هذا الزواج قد خيب أمل الرجل العجوز، فهو «محدث نعمة» وكان يريد أن يتزوج "**برسيفال**" واحدة ذات حسب ونسب... ولذلك كان يحتقر السيدة "**برسيفال**" المسكينة ويُعيِّرها بأصلها.. وأظنها تكرهه جدًا لهذا السبب. إن اهتماماتها في الحياة تنحصر في التردد إلى المحال التجارية والذهاب إلى دور السينما... وشكواها الرئيسية هي أن زوجها يضن عليها بالمال..

– وماذ عن الابنة؟

– "**إيلين**"؟ إني آسفة لأجلها... إنها ليست رديئة، هي إحدى التلميذات الخالدات اللاتي لا يكبرن أبدًا... إنها تجيد الألعاب البدنية، ولها نشاط كبير مع الكشافات والمرشدات، وكانت لها مغامرة غرامية مع ناظر مدرسة شاب، ولكن الوالد خنق هذه العلاقة بقسوة بسبب ميول الشاب السياسية.

– والابن الثاني؟

– إنني لم أره قط.. كل الروايات تقول إنه جذاب جدًا... وفاسد جدًا.. وكانت له حكاية بسبب شيك زوره في الماضي... وهو يقيم الآن في شرق "**إفريقيا**"..

– وهل قاطعه والده...؟

– نعم... لكن ليس بصفة نهائية؛ لأنه كان قد جعله شريكا أصغر في الشركة... و مع ذلك فهو لا يراسله منذ سنوات وكان إذا ذكر أمامه اسم "**لانس**" يقول: «لا تكلموني عن هذا الوغد... إنه ليس ابني...» ولكنني لن أدهش إذا كان "**فورتسكيو**" العجوز قد رسم خطة لإعادته إلى هنا.

– وما الذي يجعلك تظنين هذا؟

– لأنه حدث منذ شهر شجار عنيف بين "**برسيفال**" ووالده... فقد اكتشف الوالد أن "**برسيفال**" كان يفعل شيئًا ما من وراء ظهره... وإن كنت لا أعرف ما هو، وقد تملكه غضب شديد، ومنذ ذلك الحين تغيرت طباع "**برسيفال**" كثيرا... وأصبح يبدو قلقا مهموما...

– والآن كلميني عن الخدم...

– هناك "**كرامب**" الساقي الذي رأيته... وهو يتولى تقديم الشراب والخدمة على المائدة... وزوجته السيدة "**كرامب**" هي الطاهية... وهي ماهرة جدًّا... ثم هناك "**جلاديس**" الوصيفة... وهي تقوم بترتيب غرف الدور الأرضي وتعد المائدة وتساعد "**كرامب**"... إنها فتاة طيبة جدًّا، ولكنها نصف مخبولة... عندها مرض الغدد كما أظن... فأومأ "**نيل**"، بينما استطردت "**ماري**" تقول:

– وهناك الخادمة "**أليس كورتيس**"، وهي متقدمة في السن ومشاكسة، ولكنها تجيد الخدمة... وباقي الخدم يأتون من الخارج للمساعدة...

– وهل هؤلاء كل من يقيمون هنا؟

– هنا الآنسة "**رامسيوم**" العجوز.

– من هذه؟

– هي أخت زوجة السيد "**فورتسكيو**" الأولى... إن الزوجة الأولى كانت أكبر منه سنا، وأختها أكبر منها. ومعنى هذا أنها تزيد على السبعين... إنها تقيم في غرفة خاصة بها في الدور الثاني وتعد طعامها بنفسها. إنها شاذة غريبة الأطوار... ولم تكن لتحب صهرها بأية حال. لكنها جاءت إلى هنا عندما كانت أختها موجودة وبقيت بعد وفاتها. إن السيد "**فورتسكيو**" لم يمانع ولم يهتم بها....

الواقع أن العمة "**إيفي**" شخصية فريدة...

- هل هؤلاء كل من في المنزل؟

- نعم...

- إذن نصل إليك أنت يا آنسة "**دوف**"...

- أتريد معلومات عني... إنني نشأت يتيمة... وبعد أن درست أعمال السكرتارية في المعاهد الخاصة واشتغلت فترة في النسخ والاختزال لم أستطب هذا العمل...وهكذا اخترت مهنتي الحالية.. لقد عملت مع ثلاثة مخدومين... وكنت أترك الخدمة بعد سنة أو سنة ونصف السنة بسبب الملل وأنتقل إلى مخدوم آخر... وأنا أعمل هنا منذ أكثر من سنة... وسوف أكتب أسماء وعناوين المخدومين السابقين، وأسلم البيان لمساعدك مع شهادات الخدمة السابقة... هل يكفي هذا؟

- كل الكفاية يا آنسة "**دوف**". أحب الآن أن أرى كلاًّ من "**جلاديس**" و"**أليس**".. ثم أضاف وهو ينهض قائماً:

- على فكرة يا آنسة "**دوف**".. هل يمكنك أن تفسري لي لماذا يحمل السيد "**فورتسكيو**" حبوبا في جيبه؟

- حبوبًا؟!

- نعم... حبوبًا... هل هذا يوحي إليك بأي شيء يا آنسة "**دوف**"؟

- أبدا بالمرة...

- من المختص بإعداد ملابسه؟

- "**كرامب**"...

- مفهوم... هل كان السيد "**فورتسكيو**" وزوجته يشغلان غرفة واحدة؟

- نعم... مع غرفة ملابس وحمام خاص لكل منهما... ثم نظرت "**ماري**" إلى ساعة يدها وقالت:

- أعتقد أنها ستعود بعد قليل.. فقال المفتش أخيرا:

- هناك مسألة تبدو لي غريبة يا آنسة "**دوف**"، على الرغم من وجود ثلاثة

ملاعب جولف في المنطقة، إلا أنه لم يتيسر حتى الآن العثور على السيدة "**فورتسكيو**" في ملعب منها...

– لا يستغرب هذا إذا كانت لم تلعب الجولف فعلا...

– لقد قيل لي بوضوح إنها تلعب الجولف!

– إنها أخذت معها الأدوات وقالت إنها ستلعب الجولف... وكانت بالطبع تقود سيارتها بنفسها... فتفرس فيها برهة وقد أدرك مغزى كلامها... وقال لها:

– مع من تلعب الجولف؟

– أظن أنه السيد "**فيفيان ديبوا**". فاكتفى "**نيل**" بأن قال:

– مفهوم...

– إنني سأرسل إليك "**جلاديس**" وأعتقد أنها ستفزع جدًّا...

- 5 -

كانت الفتاة التي دخلت الغرفة في تردد واضح فتاة غير جميلة رغم طول قامتها ومحاولة الخلاعة في حركاتها وملابسها... وقد بدت خائفة مروعة، وقالت للمفتش على الفور مستعطفة:

– إنني لم أفعل أيَّ شيء، لم أفعل شيئًا في الواقع، ولا أعرف أيَّ شيء عن هذا الموضوع! فقال المفتش "**نيل**" بهدوء محاولا جهده أن يخفف عن "**جلاديس**" المذعورة:

– اجلسي ولا تخافي. أريد فقط أن أعرف كل شيء عن طعام الإفطار الذي قدم اليوم... أنت أعددت المائدة... أليس كذلك؟

– بلى... هذا ما فعلته حقيقة... والواقع أن الفتاة بدت مذنبة ومروعة... لكن المفتش "**نيل**" شجعها وطلب منها أن تخبره مَنْ مِنْ أهل المنزل نزل أولا للإفطار، ومن نزل بعد ذلك...

قالت الفتاة إن "**إيلين فورتسكيو**" كانت أول من نزل ودخل غرفة الطعام في

الوقت الذي كان فيه "**كرامب**" يدخل بإناء القهوة ونزلت بعدها السيدة "**فورتسكيو**" ثم السيدة "**برسيفال**" ثم رب الأسرة أخيرا... وقد خدموا أنفسهم بأنفسهم... وكانت أكواب الشاي والقهوة والأطباق موضوعة كلها فوق صحاف دافئة على البوفيه. وكانت المعلومات التي ذكرتها بعد ذلك معروفة للمفتش... فقد كان الطعام والشراب كما وصفت الآنسة "**دوف**". وشرب رب الأسرة والسيدة "**فورتسكيو**" والآنسة "**إيلين**" القهوة وشربت السيدة "**برسيفال**" الشاي... وكان كل شيء كالمعتاد كل يوم...

ولما سألها "**نيل**" عن نفسها أخذت تتكلم بطلاقة... قالت إنها كانت تخدم في البيوت أولا ثم انتقلت إلى العمل في المشارب والمقاهي... وبعد ذلك رأت أن تعود إلى خدمة البيوت وجاءت إلى "**يورتري لودج**" منذ شهرين... من المؤكد أنها كانت مضطربة وملتزمة جانب الدفاع عن نفسها، ولكنه عزا حالتها هذه إلى الخوف الطبيعي من البوليس... وعندما أذن لها بالانصراف سألته:

– هل هذا حقيقي فعلا؟ هل توفي؟

– نعم... توفي...

– بصورة فجائية، أليس كذلك؟ قالوا عندما تكلموا تليفونيا من المكتب إنه أصيب بما يشبه نوبة...

– نعم... كانت نوبة من نوع ما... وعندما انتقل المفتش "**نيل**" إلى المطبخ أثار حضوره انزعاجا واضحا... وقد تقدمت إليه امرأة بدين محمرة الوجه وراحت تقول بصوت يقطر وعيدا:

– لا بد من أن تعرف أنه ليس هناك شيء مما تزعمون! إن كل ما أرسلته إلى غرفة الطعام كان سليما كما يجب! ثم تأتون إلى هنا وتقولون إنني سممت السيد!... سوف أستعين عليكم بالقانون، لا يهمني إن كنتم من البوليس! ما من طعام ضار يمكن أن يقدم في هذا البيت! ولم يستطع المفتش "**نيل**" أن يطيب خاطر الطاهية إلا بعد جهد... وعندما لمح مساعده "**هاي**" واقفا يبتسم عن كثب أدرك أنه هو الذي أثار باستجوابه غضب السيدة "**كرامب**"... وفي هذه اللحظة

رن جرس التليفون، فوضع حداً لهذا المشهد.... فقد خرج "**نيل**" إلى الصالة ووجد "**ماري دوف**" تتلقى المكالمة وتكتبها في مذكرة للرسائل... وقد أدارت رأسها في أثناء الكتابة وقالت:

– هذه برقية... وبعد انتهاء المكالمة وضعت سماعة التليفون وقدمت المذكرة إلى المفتش... فوجد البرقية صادرة من "**باريس**"، كانت بالنص الآتي:

« "**فورتسكيو**" - "**يورتري لودج**" – آسف لتأخير خطابك سنكون عندكم غدا في موعد الشاي، "**لانس**" ». وهنا رفع المفتش "**نيل**" حاجبيه قائلا:

– إذن فقد دعي الابن المستهتر للعودة إلى بيت أسرته!

- 6 -

كان المفتش "**نيل**" مازال ممسكا بالرسالة (البرقية) في يده عندما سمع صوت سيارة تتوقف لدى الباب الأمامي بصرير فرامل يدل على استهتار...فقالت "**ماري دوف**":

– إنها السيدة "**فورتسكيو**"..تقدم المفتش "**نيل**" إلى الباب الأمامي في الوقت الذي لمح فيه بزاوية عينيه "**ماري دوف**" تتسلل مبتعدة في سكون وتختفي عن الأنظار... كان واضحا أنها لا تريد أن تشترك في المشهد الوشيك وهذه بلا ريب حصافة منها، وإن كان معظم النساء يفضلن البقاء بدافع الفضول على الأقل... وعندما وصل إلى الباب الأمامي شاهد "**كرامب**" يظهر آتيا من آخر الصالة... كان أيضاً قد سمع صوت الفرامل... كانت سيارة رياضية... وقد خرج منها شخصان وتقدما نحو البيت... وعند وصولهما إلى الباب فتح أمامهما فوقفت "**أديل فورتسكيو**" تحدق بدهشة إلى المفتش "**نيل**"... رأى في الحال أنها امرأة وافرة الجمال، وفهم الآن مغزى كلمات "**ماري دوف**" الجريئة وهي تصفها... كانت حقا تفيض أنوثة وإغراء، وفي كلامها وحركاتها ونظراتها أنوثة صارخة... وانتقل بنظراته إلى الرجل الذي وقف خلفها حاملا مضارب الجولف الخاصة بها. كان

المفتش يعرف هذا الطراز جيدا... كان هو الطراز الذي يتخصص في الزوجات الشابات ذوات الأزواج الأغنياء المتقدمين في السن... إن "**فيفيان ديبوا**" - إن كان هو حقا - كان الطراز الذي «يفهم» النساء جيدا...

- السيدة "**فورتسكيو**"؟

- نعم. لكنني لا أعرف...

- أنا المفتش "**نيل**"... عندي مع الأسف أخبار سيئة لك...

- تقصد... سرقة... أو شيئا من هذا القبيل؟

- لا... المسألة خاصة بزوجك... إنه أصيب بمرض مفاجئ صباح اليوم....

- "**ريكس**"؟ مريض؟ أين هو؟ هنا... أم في المستشفى؟

- إنه نقل إلى مستشفى "**سانت جود**"... لابد بكل أسف أن تستعدي لصدمة...

- أنت لا تقصد... إنه ليس... ميتا...؟وارتمت إلى الأمام قليلا وتشبثت بذراعه... لقد شعر المفتش كأنما يقوم بدور في مسرحية... فأعانها على الوصول إلى الصالة بينما وقف "**كرامب**" متأهبا عن كثب... وقال:

- هي تحتاج إلى شراب... فجاء صوت "**ديبوا**" العميق يقول:

- أصبت يا "**كرامب**"... هات الشراب... ثم أضاف يقول للمفتش:

- لندخل هنا... وفتح بابا إلى اليسار.. فتقاطر الموكب كله إلى الداخل... المفتش، و"**أديل فورتسكيو**"، و"**فيفيان ديبوا**" و"**كرامب**" حاملا زجاجة وكأسين... وتهالكت "**أديل فورتسكيو**" في مقعد وثير وقدغطت عينيها بيديها... وتقبلت من المفتش الكأس التي قدمها لها ورشفت منها رشفة ضئيلة ثم دفعتها عنها قائلة:

- لا أريدها!... أنا الآن بخير... لكن قل لي... ما الذي حدث؟ لعلها نوبة صرع.. مسكين "**ريكس**"!

- لم تكن نوبة صرع يا سيدة "**فورتسكيو**"...

- هل قلت إنك مفتش بوليس؟ كان السائل هو السيد "**ديبوا**"... فأجاب "**نيل**":

– تماما . . . المفتش "**نيل**" من بوليس "**اسكتلنديارد**" .

رأى الانزعاج يبدو في عينيه السوداوين . . . إن السيد "**ديبوا**" بدا غير مرتاح إلى وجود مفتش بوليس من "**اسكتلنديارد**" . . . غير مرتاح بأية حال . . . وقال :

– وماذا هناك؟ هل هناك خطأ في أي شيء؟ وسجلت عينا المفتش خطواته وهو يتراجع قليلا إلى الخلف ناحية الباب . . إلا أنه قال للسيدة "**فورتسكيو**" :

– يؤسفني أن أقول إنه سيكون هناك تحقيق رسمي . . .

– تحقيق رسمي؟ هل تقصد . . . ماذا تقصد؟

– يؤسفني أن أقول إن هذا سيكون مزعجا لك يا سيدة "**فورتسكيو**" . . . يبدو أنه لا مفر من أن نعرف بأسرع ما يمكن ما الذي أكله وشربه السيد "**فورتسكيو**" قبل ذهابه .

– هل تقصد أنه قد يكون تسمما؟

– نعم . . . قد يكون هذا . . . وهنا قال "**ديبوا**" وهو ينظر إلى ساعته باهتمام كبير :

– لابد لي من الانصراف يا "**أديل**" . . . أنا في منتهى الأسف . المهم أنني اطمأننت عليك . . . أعني هناك الوصيفة والآنسة "**دوف**" وغيرهما . . .

– آه يا "**فيفيان**" ! لاتذهب ! كانت كلماتها أقرب إلى التوسل، ولكنها أحدثت تأثيرا عكسيا في نفس "**ديبوا**" الذي زاد تراجعه قائلاً :

– آسف جداً يا فتاتي . عندي موعد مهم . . . وبالمناسبة ياسيدي المفتش، إنني أقيم في فندق "**دورمي هاوس**" إذا طلبتني لأي شيء . . . أومأ المفتش برأسه . . . لم تكن لديه رغبة في احتجاز السيد "**ديبوا**" لكنه فهم تعجل "**ديبوا**" للرحيل على حقيقته، فهو يهرب مبتعدا عن المشاكل . . . وقالت "**أديل**" :

– يا لها من صدمة! أن يعود الإنسان إلى البيت ليجد فيه البوليس!

– لم يكن هناك بد من هذا . . . كان من الضروري أن نبادر بالعمل لكي نحصل على عينات من الطعام والقهوة والشاي . . . إلخ .

– القهوة والشاي؟ لكنهما ليسا مواد سامة!

– سوف نعرف هذا يا سيدة "**فورتسكيو**"... سيكون موقفنا أفضل بعد التشريح... فلا تقلقي. فقالت مرتعدة:

– تشريح؟ آه مفهوم... ونبشت في حقيبة يدها وأخرجت منديلا... وقالت بصوت متهدج:

– هذا شيء بشع... إنني بدأت الآن فقط أحس بالموقف على حقيقته... إني كنت شبه مشلولة الفكر حتى الآن. مسكين "**ريكس**".. مسكين "**ريكس**" العزيز! وأخذت تنتحب بصورة تكاد تقنع من يسمعها. فوقف المفتش "**نيل**" يراقبها محترما شعورها برهة... ثم قال لها:

– أنا أقدر أنها كانت صدمة مفاجئة لك... سأرسل إليك أحدا من البيت...

وتقدم إلى الباب وفتحه ومر منه... وتوقف لحظة قبل أن يدير نظره إلى الغرفة من خلفه... كانت "**أديل فورتسكيو**" لا تزال ممسكة بالمنديل فوق عينيها... وكانت حافة المنديل مدلاة ولكنها لا تحجب فمها تماما... فرأى المفتش ابتسامة تعلو شفتيها...

- 7 -

دق جرس التليفون وبإيماءة من المفتش اتجه مساعده "**هاي**" للرد على المتكلم الذي تبين أنه من إدارة البوليس... وكانت الرسالة المبلغة هي أنه أمكن الاتصال بالسيد "**برسيفال فورتسكيو**"، وأنه عائد إلى "**لندن**" في الحال.

وما كاد المفتش يضع السماعة حتى سمع سيارة تقف لدى الباب الخارجي، فذهب "**كرامب**" إلى الباب وفتحه، كانت القادمة امرأة تحمل لفافات كثيرة، فأخذها منها "**كرامب**" وقالت له:

– أشكرك يا "**كرامب**"... ادفع أجرة السيارة من فضلك... إنني أريد الشاي الآن... هل جاءت السيدة "**فورتسكيو**" أو الآنسة "**إيلين**"؟ بدا "**كرامب**" مترددا، وأدار رأسه من فوق منكبه قائلا:

– عندنا أخبار سيئة يا سيدتي... عن السيد...

– عن السيد "**فورتسكيو**"؟ وهنا تقدم المفتش "**نيل**" فقال "**كرامب**":

– هذه السيدة "**برسيفال**" يا سيدي...

– ماذا جرى؟ هل وقع حادث؟ تفحصها المفتش وهو يرد عليها... كانت امرأة ممتلئة الجسم في نحو الثلاثين، تتكلم بسرعة وبلا هوادة فقال لها:

– يؤسفني أن أبلغك أن السيد "**فورتسكيو**" قد نقل إلى مستشفى "**سانت جود**" صباح اليوم في حالة مرضية خطيرة وقد توفي في المستشفى...

– توفي؟ يا إلهي! هذه مفاجأة! إن زوجي مسافر... لا بد من الاتصال به فهو الذي يجب أن يتكفل بكل شيء. وصمتت برهة.. ثم تنبهت لأول مرة إلى مخاطبها فقالت له:

– هل أنت من المكتب أم أنت طبيب؟

– أنا ضابط بوليس... إن وفاة السيد "**فورتسكيو**" حدثت فجأة... و...

فقاطعته قائلة:

– هل تعني أنه قتل؟ لأول مرة ترددت كلمة القتل، فأخذ "**نيل**" يتفرس بدقة في وجهها المتلهف... وقال لها:

– ما الذي يجعلك تفكرين هكذا يا سيدتي؟

– حسنًا.. الناس يقتلون أحيانا... وأنت قلت إن الوفاة حدثت فجأة...ثم إنك من رجال البوليس... هل قابلتها بخصوص هذه المسألة... وماذا قالت؟

– إنني لا أعرف من تعنين بكلامك؟

– "**أديل**"... بالطبع... إنني قلت دائمًا لـ"**برسيفال**" إن والده مجنون لزواجه بامرأة أصغر منه بسنوات كثيرة، إن تلك المخلوقة سلبته عقله! وانظر الآن ماذا كانت النتيجة... يا لها من ورطة بشعة وصلنا إليها! صور في الجرائد وصحفيون حولنا في كل مكان! وتوقفت برهة لتلتقط أنفاسها...ثم التفتت إليه قائلة:

– ماذا كان نوع السم؟ زرنيخ؟

– لا بد من التأكد من سبب الوفاة... سوف يكون هناك تشريح للجثة وتحقيق رسمي...

– لكنك تعرف فعلا... وإلا لما جئت إلى هنا..

– إننا وجهنا أسئلة عما أكله وشربه.... ويحتمل أن موته بسبب شيء أكله في الإفطار.

– الإفطار؟ هذا صعب... إنني لا أرى كيف يمكن أن... وتوقفت برهة، ثم هزت رأسها قائلة :

– لا أرى كيف بإمكانها أن تفعل هذا... إلا إذا كانت قد دست له شيئًا في القهوة... عندما لم أكن أنا و"**إيلين**" ننظر إليها... وهنا سمعت صوتا هادئا بجانبها يقول:

– إن الشاي مُعَدّ في المكتبة يا سيدة "**برسيفال**"... فلم تتمالك أن انتفضت في مكانها وقالت:

– آه... أشكرك يا آنسة "**دوف**" .. نعم.. أنا أحتاج بشدة الآن إلى قدح شاي... ما رأيك في فنجان يا حضرة المفتش؟

– أشكرك ليس الآن... فبدت مترددة برهة، ثم لم تلبث أن ابتعدت بخطى بطيئة... وعلى إثر ذهابها غمغمت "**ماري دوف**" قائلة:

– لا أظن أنها عرفت في حياتها معنى الغيبة والنميمة!... ولما لم يجبها المفتش أردفت تقول:

– هل من شيء يمكن أن أؤديه لك؟

– أين يمكن أن أجد الخادمة "**أليس**"؟

– سأصحبك إليها... إنها صعدت منذ قليل إلى الطابق العلوي.

◆◆◆◆◆

بدت الخادمة "**أليس**" عابسة الوجه غير هيابة... وتطلعت بوجهها المجعد إلى المفتش كالمنتصر قائلة:

– هذه مسألة مروعة يا سيدي... إنني لم أتصور في حياتي أنني سأعيش لكي أجد نفسي في بيت تحدث فيه مثل هذه الأمور... إنني لا أحب اللغة التي

يتخاطبون بها في هذا البيت، ولا أحب كمية الشراب التي يشربونها، ولا أوافق على الأمور التي تحدث هنا . . .

– ماذا تقصدين بالضبط بالأمورالتي تحدث؟

– سوف تسمع عنها إذا كنت لم تعرف. . . . إنها حديث شائع في كل مكان في البيت. إن الناس شاهدوهما هنا وهناك وفي كل مكان. . . إن لعب الجولف أو التنس ما هو إلا تظاهر. إنني شاهدت أمرا بعيني رأسي في هذا البيت. . . كان باب المكتبة مفتوحا ورأيت كل شيء: القبلات والمداعبات! كانت لهجة الخادمة العانس تقطر كراهية شديدة، ولم يكن المفتش يحتاج إلى سؤالها عمن تقصد. . . ولكنه سألها على الرغم من ذلك. . . فقالت:

– من أقصد؟ السيدة بالطبع وذلك الرجل. . . لا حياء عندهما ولا محاولة للإخفاء لكن إذا سألتني قلت لك إن السيد تنبه إلى هذا. . إنه كلف من يراقبهما، وكان الطلاق هو ما ينتظر. . . ومع ذلك فقد انتهت النتيجة إلى هذا!

– ماذا تعنين بهذا الكلام؟

– إنكم تسألون الجميع يا سيدي ماذا أكل السيد وماذا شرب ومن قدم الأكل والشراب إليه؟ إن الاثنين مشتركان في هذا ياسيدي. . هذا رأيي. . . إنه جاء بالمادة وهي التي أعطتها للسيد. . هذا هو ما حدث لاشك عندي في ذلك. وفي النهاية سألها إن كان يمكنه أن يقابل الآنسة "**رامسيوم**" فقالت الخادمة متشككة:

– يمكن أن أسالها. . . . لكنها لا تقابل كل إنسان. . . إنها سيدة عجوز جداً، وهي غريبة الأطوار. ولما ألح المفتش صعدت معه كارهة إلى غرفة علوية. . . وطرقت الباب. . وعندما تلقت الرد فتحت الباب قائلة:

– هناك ضابط بوليس يريد أن يتحدث معك يا سيدتي. . . والظاهر أنها تلقت الإذن، فقد تراجعت وأشارت إليه بالدخول. . . كانت الغرفة مكتظة بالأثاث العتيق وخيل إلى المفتش عند دخوله أنه رجع إلى العهود التاريخية القديمة. . . ووقع نظره على امرأة عجوز بيضاء الشعر جالسة قرب طاولة يعلوها موقد غاز، وكانت تلعب الورق بمفردها. . . قال لها:

– يؤسفني أن أخبرك يا آنسة "**رامسيوم**" بأن صهرك السيد "**فورتسكيو**" أصيب بمرض مفاجئ وتوفي صباح اليوم. واستمرت الآنسة "**رامسيوم**" تمارس لعبتها دون أن يعتريها أي اضطراب وقالت بصوت عادي:

– لقد صرع أخيرا بتأثير غروره وذنوبه... لا بأس... كان لابد من أن يحدث هذا....

– أرجو ألا يكون هذا صدمة بالنسبة إليك؟ فصوبت إليه نظرة حادة من فوق حافة نظارتها وقالت:

– إذا كنت تعني أنني لم أحزن فقد أصبت... إن "**ريكس فورتسكيو**" كان دائما رجلا أثيما، وأنا لم أشعر قط بحب نحوه...

– إن موته كان فجائيا، ومن المحتمل أنه مات بالسم... وتوقف المفتش ليرى تأثير كلماته فيها... فلم يبد له أدنى تأثير... واكتفت بأن غمغمت قائلة وهي تعود إلى لعب الورق:

– حسنا... ماذا تنتظر مني أن أقول؟... إنني لم أدس له السم، إن كان هذا ما تريد أن تعرفه...

– هل عندك أية فكرة عمن يكون قد فعل هذا؟ فقالت العجوز بحدة:

– هذا سؤال غير لائق بالمرة... تحت سقف هذا البيت يعيش اثنان من أبناء أختي المتوفاة... إنني أرفض أن أعتقد أن أي واحد يجري في عروقه دم "**رامسيوم**" يمكن أن يرتكب جريمة قتل، فأنت تقصد أنها جريمة قتل... أليس كذلك؟

– أنا لم أقل هذا يا سيدتي...

– هي جريمة قتل بالطبع.. إن أناسا كثيرين كانوا يريدون قتل "**ريكس**"... إنه رجل لا ضمير له... والآثام القديمة لها ذيول طويلة كما يقول المثل...

– هل هناك شخص معين تفكرين فيه من هذه الناحية؟ فأزاحت الآنسة "**رامسيوم**" أوراق اللعب من أمامها ونهضت قائلة:

– أظن أن من الأفضل أن تخرج الآن... قالت ذلك بغير غضب... لكن

بلهجة حاسمة... ثم أردفت:

– إذ أردت رأيي... فربما كان أحد الخدم... طابت ليلتك...

ألفى المفتش "**نيل**" نفسه ينسحب طائعا ممتثلا... لا شك في أن هذه السيدة العجوز امرأة غريبة الأطوار، وما من شيء يمكن استخلاصه منها. وهبط السلم إلى الصالة ليجد نفسه وجها لوجه أمام فتاة طويلة سمراء ترتدي معطفًا واقيا مبتلا، وقد وقفت تحملق إليه وهي شبه مذهولة قائلة:

– إنني عدت توًا، فأخبروني بـ... والدي... قالوا إنه توفي...

– يؤسفني أن أقول إن هذا صحيح... فدفعت يدها من خلفها بحركة غير مبصرة كأنما تتلمس سندا من السقوط... وعندما لمست يدها صندوقا ثقيلا أخذت تتهالك فوقه ببطء وهي متصلبة، وراحت تقول:

– أواه... لا.. لا.. فانحدرت الدموع فوق خديها.. وقالت:

– هذا فظيع، لم أكن لأظن أنني أحبه... كنت أظن أنني أكرهه... لكن هذا الآن غير صحيح... وإلا لما تألمت هكذا... وظلت جالسة تحدق أمامها والدموع تسيل من عينيها. ولم تلبث أن عادت إلى الكلام... فراحت تقول بأنفاس لاهثة:

– الشيء القبيح في الموضوع هو أن هذا التطور سوف يؤدي إلى تسوية كل شيء.. أقصد أن "**جيرالد**" وأنا يمكننا الآن أن نتزوج، بإمكاني الآن أن أفعل كل ما أريد لكنني أكره أن يحدث هذا كله على هذه الصورة... لا أريد أن يموت أبي... لا أريد... أواه! أبي... أبي. ولأول مرة منذ جاء المفتش "**نيل**" إلى هذا البيت فوجئ بما بدا له أنه حزن صادق من أجل المتوفى.

- 8 -

قال مدير المباحث بعد أن استمع باهتمام إلى تقرير المفتش "**نيل**":

– يبدو لي أن الزوجة هي الفاعلة... ما رأيك أنت يا "**نيل**"؟ فقال المفتش:

– إن هذا ما يبدو لي أيضًا. . . في مثل هذه القضايا يكون الفاعل هو الزوجة أو الزوج حسب الحالة. وأضاف مدير المباحث قائلا:

– إن الزوجة كانت لديها الفرصة كاملة. . والدافع. هل الدافع متوافر؟

– هذا ما أظنه يا سيدي. هناك السيد "**ديبوا**" هذا. . .

– هل تظن أنه مشترك معها؟

– لا. . . لست أقول هذا. . . إنه أحرص من أن يجازف بنفسه لهذا الغرض. . ربما خمَّن ما كان يطوف بذهنها. . . لكنني أتصور أنه حرضها فعلا. . . فهو شديد الحرص.

– وما رأيك في الاثنتين الأخريين اللتين كانت أمامهما الفرصة؟

– تعني الابنة وزوجة الابن. . . الابنة كانت متصلة بشاب لم يقبل والدها زواجها به. . . ومن المؤكد أن الشاب لم يكن ليتزوجها ما لم يكن لديها مال. . . وهنا الدافع بالنسبة إليها. . . أما عن زوجة الابن فإني لا أعرف ما يكفي حتى الآن. . لكن كل واحدة من الثلاث كان بإمكانها وضع السم له، ولا أعرف كيف يتأتى هذا لغيرهن. . . ثم إن الوصيفة. . . وكبير الخدم والطاهية. . . كلهم تداولوا طعام الإفطار أو جاءوا به إلى غرفة الطعام. . . ولكنني لا أرى كيف تأكد أي واحد منهم أن "**فورتسكيو**" ذاته سيتناول "**التاكسين**" لا غيره، هذا إذا ثبت أن المادة كانت "**التاكسين**". فقال مدير المباحث:

– لا شك في أنه "**التاكسين**"... فقد جاءني التقرير الأوَّلي عن ذلك. . . فقال المفتش "**نيل**":

– هذا إذن يحسم الأمر. . . بإمكاننا أن نمضي في التحقيق على هذا الأساس. . .

– وموقف الخدم. . هل هو سليم؟

– أما الساقي والوصيفة "**جلاديس**" فيبدوان عصبيين، وليس في هذا شيء غير عادي. . . فهو يحدث كثيرا. . . والطاهية شديدة الغضب، والخادمة الأخرى "**أليس**" بدت مسرورة شامتة. . . إن موقفهم في الحقيقة طبيعي وعادي. . .

– حسنًا. . . لك أن تمضي في القضية يا "**نيل**"، على فكرة لقد حضر السيد

"**برسيفال**" إلى هنا الآن، وقد تبادلت معه كلمات قليلة، وهو في انتظارك... كما أمكننا أن نستدل على مكان الابن الآخر. إنه في "**باريس**" بفندق "**بريستول**"، وسيسافر اليوم.. أظنك سترسل من يقابله في المطار؟

– نعم يا سيدي... كانت هذه فكرتي في الواقع . فقال مدير المباحث ضاحكا:

– لا بأس... يحسن أن تقابل "**برسيفال فورتسكيو**" الآن... أو "**بيرسي**" الأنيق كما يبدو في الواقع... والواقع أن "**برسيفال**" كان شابا أنيقا أشقر الشعر في نحو الثلاثين.. وقد بادر المفتش قائلا:

– كانت هذه صدمة مروعة لي... كما يمكنك أن تتصور يا حضرة المفتش... وكل ما أستطيع أن أقوله هو أن والدي كان في خير حال عندما غادرت البيت أول أمس... إن هذا التسمم الغذائي أو غيره لا بد من أنه كان فجائيا؟

– نعم كان فجائيا.. لكنه لم يكن تسمما غذائيا. إن والدك مات مسموما بـ"**التاكسين**" .

– "**تاكسين**" ؟ إنني لم أسمع به قط...

– وقليلون غيرك سمعوا به فيما أظن... إنه سم يحدث مفعولا فجائيا وسريعًا... فقال "**برسيفال**" وقد زاد عبوسه:

– هل تعني يا سيدي المفتش أن والدي قد تسمم عمدا بفعل فاعل؟

– نعم.. هذا ما يبدو يا سيدي.

– هذا فظيع، هل يمكن أن أسأل عما إذا كنت قد توصلت إلى أية أفكار أو شبهات بشأن من يمكن أن... وتوقف عن إتمام كلامه مرة أخرى.. فغمغم المفتش:

– الوقت مازال مبكرا لشيء كهذا... ومع ذلك أرجو لو أمكن أن تعطيني أية فكرة عن وصية والدك... أم تحب أن تحيلني إلى محامييه؟

– المحامون هم "**بلينجسبي**" و"**ثورت**" و"**والترز**" بميدان "**بدفورد**".. وبإمكاني أن أذكر لك مضمون الوصية بصفة عامة... إن والدي أعد وصية جديدة بمناسبة زواجه منذ سنتين... وقد خصص مبلغ مائة ألف جنيه لزوجته وحدها، ومبلغ

خمسين ألف جنيه لشقيقتي "**إيلين**"، وأنا الوارث لبقية التركة... فإنني بالطبع شريك في الشركة.

– ألم تُخصص هبة لشقيقك "**لانس فورتسكيو**"؟

– نعم... فهناك قطيعة طويلة العمر بين أبي وأخي...

– إذن فإن المستفيدين من الوصية بوضعها الحالي هم السيدة "**فورتسكيو**"، والآنسة "**إيلين**"، وأنت؟ فتنهد "**برسيفال**" وقال:

– لا أظن أنني سوف أستفيد كثيرا... فهناك ضرائب التركة كما تعرف.. ثم إن والدي كان في العهد الأخير... لا بأس... كل ما أستطيع أن أقوله هو إنه لم يكن في جانب القانون في بعض معاملاته المالية... فقال المفتش بلهجة ودية:

– ألم تكن إجراءات العمل تتم تحت نظرك أنت ووالدك مباشرة؟

– إني كنت أبدي له وجهة نظري لكن بكل أسف.. وهز كتفيه..فقال المفتش:

– كنت تبدي وجهة نظرك بشدة.. مما جعل المشادات تحدث بينكما... أليس كذلك؟ فقال "**برسيفال**" وقد تصاعدت حمرة الاستياء إلى وجهه:

– لا يمكن أن أقول إن هذا هو الوصف يا سيدي المفتش...

– ربما كان النزاع الذي حدث بينكما لسبب آخر إذن...

– لم يكن هناك أي نزاع.

– حسنًا... هل أنت واثق بأن القطيعة بين والدك وأخيك مازالت قائمة؟

– هو ذاك...

– إذن فربما كان بإمكانك أن تقول لي ما معنى هذا. وقدم إليه الرسالة (البرقية) التي نقلتها "**ماري دوف**". فقرأها "**برسيفال**"... وسرعان ما بدرت منه إشارة تنم عن الدهشة والاستياء... لقد بدا غاضبا غير مصدق لما قرأ... وقال:

– لايمكنني أن أفهم هذا!... لا يمكنني حقا...

– ومع ذلك فهذا هو الواقع، إن شقيقك سوف يصل من "**باريس**" اليوم...

– ولكن هذا شيء شاذ! شاذ جدًّا!... ولا يمكنني في الواقع أن أفهم معناه.

– ألم يقل لك والدك شيئا في هذا الصدد؟

– لم يقل قطعا... يا له من تصرف عدواني من جانبه! يتصرف من خلف ظهري ويرسل إلى "**لانس**".

– أليست عندك أية فكرة لماذا فعل شيئا كهذا؟

– لا بالطبع... إن هذا كله شبيه بتصرفاته في الفترة الأخيرة، تصرفات تنم عن الجنون...

- 9 -

ما كادت الطائرة تبتعد مدى خمس دقائق عن مطار "**لوبورجيه**" حتى كان "**لانس فورتسكيو**" يتصفح نسخة من الطبعة الأوروبية لجريدة "**الديلي ميل**".. ولم تمض دقيقة أو اثنتان حتى هتف منزعجًا.. فأدارت "**باتريشيا**" التي كانت تجلس بجانبه رأسها إلى ناحيته متسائلة... فقال "**لانس**":

– الرجل العجوز... إنه مات.

– والدك... مات؟

– نعم... يبدو أنه مرض فجأة في المكتب... فنقلوه إلى مستشفى "**سانت جود**"، وتوفي هناك عقب وصوله...

– أنا آسفة يا حبيبي... ماذا كان نوع المرض؟... صرع؟

– أظن هذا.

– كنت أظن أن الناس لا يموتون من نوبة الصرع. فقال "**لانس**":

– مسكين. كان ظني أنني أحبه! أما الآن... وبعد أن توفي...

– بالطبع كنت تحبه.

– لسنا جميعا مثلك يا "**باتريشيا**" في طبعك الكريم. لا بأس.. يبدو الآن أن الحظ خانني مرة أخرى...

– نعم... غريب أن يحدث هذا الآن... في الوقت الذي كنت فيه على وشك

العودة إلى بيتك. وعند وصولهما إلى مطار "**هيثرو**" بـ"**لندن**" واستعدادهما للنزول من الطائرة نادى أحد موظفي شركة الطيران بصوت واضح:

ـ هل السيد "**لانس فورتسكيو**" موجود بين الركاب؟ فرد "**لانس**" قائلا:

ـ أنا هو...

ـ هل تتفضل بالمجيء إلى هنا يا سيد "**فورتسكيو**"؟

فتبعه "**لانس**" و"**باتريشيا**" إلى خارج الطائرة قبل غيرهما من الركاب... وعند مرورهما بالراكبين الجالسين في المقعد الأخير، سمعا الرجل يهمس لزوجته:

ـ أظن أنهما من المهربين المعروفين... ضبطا متلبسين!

◆◆◆◆◆

قال "**لانس**" وهو يحدق عبر المنضدة إلى المفتش "**نيل**":

ـ هذا غير معقول... "**تاكسين**"؟ إن هذا كله يبدو كمأساة مسرحية.

ـ ليست عندك أية فكرة إذن عمن يكون قد دس السم لوالدك؟

ـ يا إلهي! لا.. أنا أعرف أن الرجل العجوز خلق له أعداء كثيرين في مجال الأعمال، وكثير من الناس كان بودهم أن يسلخوا جلده حيًّا، وأن يقضوا عليه ماليا... كل هذا معروف، أما التسمم؟ مهما يكن فلا يمكن لمثلي أن يعرف... فإنني تغيبت في الخارج سنوات طويلة، ولم أكن لأعرف إلا القليل عما كان يجري في بيت الأسرة..

ـ هذا في الحقيقة ما أردت أن أسألك عنه. لقد فهمت من أخيك أنه كانت هناك قطيعة بينك وبين والدك دامت سنوات كثيرة... فهل يمكنك أن تخبرني بالظروف التي أدت إلى عودتك إلى الأسرة في هذ الوقت؟

ـ بالتأكيد يا سيدي المفتش... إنني تلقيت من أبي رسالة يطلب مني فيها الحضور إليه... تُرى متى كان هذا؟... نعم منذ ستة أشهر... كان ذلك بعد زواجي مباشرة، إن والدي كتب إليَّ ملحًّا أن ننسى الماضي، واقترح عليَّ أن أعود وأنضم إلى الشركة... كان غامضًا في كلامه حتى أنني ترددت في قبول ما عرضه

عليَّ... على أية حال كانت النتيجة أنني عدت إلى "**إنجلترا**" في آب (أغسطس) الماضي، أي منذ ثلاثة أشهر... وقد ذهبت إليه وقابلته في بيت الأسرة حيث قدم إليَّ عرضا لابد أن أقول إنه كان مغريا وله مزاياه الكثيرة... فقلت له إنني لا بد لي من التفكير في الموضوع واستشارة زوجتي أيضًا... فقابل هذا بالفهم والتقدير... وقد طرت عائدا إلى شرق "**إفريقيا**" وتباحثت في الأمر مع "**باتريشيا**"... وكانت النتيجة أنني قررت قبول عرض الرجل العجوز... وكان لابد لي من إنهاء أعمالي هناك... وقد أخبرته بأنني سأبرق إليه بموعد وصولي الفعلي إلى "**إنجلترا**". وهنا سعل المفتش "**نيل**" وقال:

– يبدو أن عودتك قد أثارت شيئًا من الدهشة عند أخيك. وابتسم "**لانس**" فجأة، وأشرق وجهه الوسيم بلون من التشفي وراح يقول:

– لا تصدق أن "**برسيفال**" كان يعرف أي شيء عن هذا... إنه كان وقتها متغيبا في إجازته في "**النرويج**"... وإذا سألتني قلت لك إن الرجل العجوز اختار هذه الفترة بالذات عن قصد... إنه تصرف من وراء ظهر "**برسيفال**". والواقع أنني أميل إلى اعتقاد أنه لم يفعل هذا إلا مدفوعا بذلك الشجار العنيف الذي حدث بينهما.. وفي ظني أن "**برسيفال**" كان يحاول بصورة ما التلاعب على الرجل العجوز.. لكنه ليس من النوع الذي يقبل هذا أبدا... وأظن أنه استصوب أن يعمل على إعادتي وبهذا نفسد ألاعيب "**برسيفال**" المسكين... ثم إنه لم يكن ليحب زوجة "**برسيفال**" كثيرا... وكان راضيا عن زوجتي فهي فتاة ذات حسب ونسب.

– كم لبثت في «**يورتري لودج**» في هذه المناسبة؟

– آه... لا أكثر من ساعة أو ساعتين... إن والدي لم يطلب مني المبيت ليلتها... كانت المسألة كلها بالتأكيد ضربة سرية من وراء ظهر "**برسيفال**"... بل لا أظن أنه أراد أن يتكلم الخدم عن هذه الزيارة الخاطفة... وكما قلت لك،فإن المسألة ظلت معلقة إلى أن أستشير زوجتي، ثم أكتب إليه لأخبره بقراري... وهو ما فعلته... فقد كتبت إليه أخبره بالموعد التقريبي لوصولي.. وأخيرا

أرسلت إليه أمس برقية من "**باريس**" .

– وهي برقية أثارت دهشة أخيك بدرجة كبيرة...

– هذا ما أعتقده... على أية حال فإن "**برسيفال**" هو الرابح كالعادة... إنني وصلت بعد فوات الأوان.

– نعم... وصلت بعد فوات الأوان فعلا، هل قابلت في زيارتك في آب (أغسطس) الماضي أي أحد آخر من أفراد الأسرة؟

– كانت زوجة أبي موجودة في أثناء تناول الشاي...

– ألم تقابلها من قبل؟

– نعم لم أقابلها. وابتسم فجأة وأضاف قائلا :

– إن الرجل العجوز خبير بلا شك في اختيار النساء... لابد من أنها تصغره بثلاثين سنة على الأقل.

– معذرة لهذا السؤال : لكن هل أثار زواج والدك استياءك أو استياء أخيك؟ فبدا "**لانس**" مندهشا وقال :

– مؤكد أنني لم أستأ، ولا أظن أن "**برسيفال**" استاء أيضًا، إن والدتنا توفيت ونحن في حوالي الثانية عشرة... وما يدهشني فعلا هو أن الرجل العجوز لم يتزوج للمرة الثانية قبل ذلك. فغمغم المفتش "**نيل**" قائلا :

– قد يبدو أن من المجازفة أن يتزوج الإنسان امرأة أصغر كثيرا من سنه.

– هل قال لك أخي هذا؟ إنه يبدو أشبه بكلامه...إن "**برسيفال**" أستاذ بارع في فن التلميح... هل هذا هو الموقف يا سيدي المفتش؟ هل هناك اشتباه في أن زوجة أبي قد سممته؟

– إن الوقت لم يحن بعد لتكوين أية أفكار عن أي شيء. والآن هل يمكنني أن أسالك عن مشروعاتك القادمة؟ فقال "**لانس**" متأملا :

– مشروعاتي؟ أظن أنه لابد لي من إعداد مشروعات جديدة، أين الأسرة؟ هل هم كلهم في "**يورتري لودج**" ؟

– نعم..

– يحسن أن أذهب إلى هناك مباشرة.. والتفت إلى زوجته قائلا:

– الأفضل أن تذهبي إلى فندق "**يات**".

– لا... لا يا "**لانس**" سأذهب معك.

– لا يا حبيبتي، لا أريد أن آخذك إلى بيت يوجد فيه من يدس السم بحرية وهو مطلق السراح!

- 10 -

راحت "**ماري دوف**" تهبط السلم متباطئة... وتوقفت برهة عند النافذة المطلة على «البسطة» في وسط السلم والتي شاهدت منها المفتش "**نيل**" لدى وصوله إلى البيت في اليوم السابق. نظرت إلى الخارج، وفي الضوء المتناقص رأت رجلا يختفي حول سياج الأشجار... وتساءلت إن كان هذا هو "**لانس فورتسكيو**" الابن المستهتر... لعله ترك السيارة عند البوابة، وأخذ يجول في الحديقة مستعيدا الأيام الخوالي فيها قبل أن يواجه الأسرة التي ناصبته العداء. ولم تتمالك "**ماري دوف**" شعورها بالعطف على "**لانس**". والتقت في الصالة بالوصيفة "**جلاديس**" التي وثبت من مكانها بعصبية لدى رؤيتها... فسألتها "**ماري**":

– هل كان هذا هو التليفون الذي سمعته يدق منذ برهة؟ من كان المتكلم؟ فأجابت "**جلاديس**" بصوت بدا لاهثا وسريعا:

– كان... آه كانت «نمرة غلط»، ظنوا أننا محل التنظيف والكي. وقبل هذه المرة كان المتكلم السيد "**ديبوا**".. كان يريد مكالمة السيدة... فتقدمت "**ماري**" في الصالة خطوات.. ثم أدارت رأسها قائلة:

– هذا موعد الشاي كما أظن... ألم تقدميه بعد؟ فقالت "**جلاديس**":

– لا أظن أن الساعة بلغت الرابعة والنصف... أليس كذلك يا آنسة؟

– الساعة الآن الخامسة إلا الثلث... قدِّمي الشاي الآن..

وواصلت "**ماري دوف**" سيرها إلى قاعة المكتبة حيث كانت "**أديل فورتسكيو**"

جالسة على الأريكة تحدق إلى نار المدفأة وتعبث بأصابعها في منديل صغير مطرز... ولم تلبث "**أديل**" أن قالت لها باستياء:

– أين الشاي؟ فقالت "**ماري دوف**":

– إنه في الطريق... وسقطت كتلة خشب إلى خارج المدفأة... فركعت "**ماري دوف**" أمامها وأعادتها إلى مكانها بالملقطة، وأضافت إليها كتلة أخرى من الخشب وبعض الفحم.. وذهبت "**جلاديس**" إلى المطبخ، وهناك واجهتها السيدة "**كرامب**" بوجه محمر غاضب قائلة لها:

– إن جرس المكتبة يدق ويدق منذ فترة.. حان الوقت لكي تذهبي بالشاي يا فتاتي!

– حسنا. حسنا.. يا سيدة "**كرامب**"... ولم تعد "**جلاديس**" شيئًا من الشطائر... وقالت لنفسها: إن لديهم الكفاية ليأكلوه دون الشطائر... هناك كعكتان كبيرتان وبسكويت وفطائر وعسل.. ثم زبد ممتاز طازج. وعندئذ سمعت السيدة "**كرامب**" تنادي من المطبخ:

– إناء الشاي يكاد ينفجر... ألن تنتهي أبدا من تجهيز هذا الشاي؟

فتناولت "**جلاديس**" مقدارا من الشاي كما اتفق ووضعته في الإناء الفضي الكبير وحملته إلى المطبخ وصبت فوقه الماء المغلي.. ثم وضعت إناء الشاي على الصينية الكبيرة وحملتها إلى قاعة المكتبة... وفي قاعة المكتبة قالت "**أديل فورتسكيو**" لـ"**ماري دوف**" بصوت غاضب:

– أين ذهب الكل هذه الساعة؟

– لا أعرف في الواقع يا سيدة "**فورتسكيو**".. إن الآنسة "**إيلين**" وصلت منذ فترة... وأظن أن السيدة "**برسيفال**" تكتب رسائل في غرفتها...

– تكتب رسائل... تكتب رسائل! هذه المرأة لا تكف عن كتابة الرسائل... إنها تشبه كل الناس الذين من طبقتها، إنها تتلذذ بالموت والمصائب. فغمغمت "**ماري دوف**" بلباقة:

– سأخبرها بأن الشاي جُهِّز. وعندما وصلت إلى باب القاعة تراجعت قليلا حين

أقبلت "**إيلين فورتسكيو**" ... وقالت "**إيلين**" على الأثر:

– الطقس بارد.. وانحنت قرب المدفأة وأخذت تدفئ يديها أمام اللهب.

ووقفت "**ماري دوف**" برهة في الصالة.. لقد شاهدت صينية كبيرة عليها الكعك والفطائر موضوعة فوق أحد الصناديق الكبيرة في الصالة... ونظرا لأن العتمة بدأت تسود الصالة فإنها أضاءت النور... وبينما هي تفعل ذلك خيل إليها أنها سمعت صوت "**جنيفر**" زوجة "**برسيفال**" تسير في الممشى في الدور العلوي، إلا أن أحدا لم يهبط السلم فصعدت هي إلى الطابق العلوي. كان "**برسيفال فورتسكيو**" وزوجته "**جنيفر**" يشغلان جناحا خاصا في البيت.. وقد طرقت "**ماري دوف**" باب غرفة الجلوس فجاء صوت السيدة "**برسيفال**" يقول:

– ادخل... ففتحت "**ماري**" الباب وغمغمت قائلة:

– الشاي جُهِّز يا سيدة "**برسيفال**". أدهشها في الواقع أن ترى "**جنيفر**" مرتدية ملابس الخروج، وكانت في هذه اللحظة منشغلة بخلع معطف من الفراء... فقالت "**ماري**":

– لم أعرف أنك كنت في الخارج. فبدت السيدة "**برسيفال**" كأنها تلهث قليلا وهي تقول:

– آه... كنت في الحديقة... كنت أستنشق شيئا من الهواء... ومع ذلك كان الطقس باردا جداً... يسرني أن أنزل الآن للاستدفاء... إن التدفئة هنا ليست كما يجب... ووضعت "**جنيفر**" معطفها فوق مقعد، وتبعت "**ماري**" إلى خارج الغرفة، وتقدمت إلى درج السلم بعد أن أفسحت لها "**ماري**" الطريق... وأدهش "**ماري**" رؤية صينية المأكولات وهي لا تزال في مكانها فهمَّت بأن تذهب إلى الكرار وتنادي "**جلاديس**"، عندما ظهرت "**أديل**" في مدخل قاعة المكتبة وهي تقول بصوت ينم عن الاستياء:

– ألن نأكل شيئا مع الشاي؟ فأسرعت "**ماري**" وحملت الصينية وأدخلتها قاعة المكتبة، ووضعت ما عليها فوق مناضد صغيرة قرب المدفأة وحملت الصينية الفارغة إلى الصالة وعندئذ سمعت رنين جرس الباب الخارجي... فوضعت الصينية

وذهبت بنفسها إلى الباب... وفتحته ونظرت إلى القادم في فضول وهتفت:

– السيد "**لانس فورتسكيو**"؟

– هو نفسه. فنظرت "**ماري**" من خلفه قائلة:

– وأمتعتك؟

– إنني صرفت سيارة الأجرة... هذا كل ما معي... ورفع حقيبة متوسطة الحجم... فقالت "**ماري**" في شيء من الدهشة:

– آه... وأين زوجتك؟

– إن زوجتي لن تأتي... على الأقل ليس الآن.

– مفهوم. تعال من هنا يا سيدي. الجميع في قاعة المكتبة يشربون الشاي. وصحبته إلى باب القاعة وتركته هناك... لقد بدا لها أن "**لانس فورتسكيو**" شخص موفور الجاذبية... وربما كان يشاطرها هذا الرأي نساء كثيرات. هرولت "**إيلين**" نحو أخيها، وطوقت عنقه بذراعيها، واحتضنته بشدة وهي تهتف باسمه ثم قالت له بعد لحظة:

– دعني أقدم إليك "**جنيفر**".. فنظرت إليه "**جنيفر**" بفضول واهتمام قائلة:

– يؤسفني أن "**برسيفال**" اضطر إلى التأخر في المدينة... هناك واجبات كثيرة تنتظره كما تعلم... وبالطبع كل شيء يقع الآن على عاتق "**برسيفال**".. ليست عندك فكرة عما نقاسيه كلنا الآن. فقال "**لانس**" برصانة:

– لا بد من أن كل شيء مؤلم بالنسبة إليكم.. والتفت إلى المرأة الجالسة على الأريكة وبيدها قطعة من الفطير عليها طبقة من العسل، وكانت تنظر إليه فاحصة فهتفت "**جنيفر**":

– بالطبع أنت لا تعرف "**أديل**"... فغمغم "**لانس**" وهو يأخذ يد "**أديل**" بين يديه:

– آه.. بلى أعرفها. ولمست "**أديل**" شعرها لتطمئن إلى حسن تنسيقه.. كانت لمسة نسائية تعني أنها أحست بأن رجلا جذابا قد دخل الغرفة. وقالت بصوتها العميق الرقيق:

– اجلس هنا على الأريكة يا "**لانس**".. وصبت له قدح شاي وهي تستطرد قائلة:

– إننا نحتاج بشدة إلى رجل آخر في هذا البيت. لعلك لا تعرف أن البوليس جاء إلى هنا...

– أعرف.. والحقيقة أنهم قابلوني في مطار "**لندن**".

– وماذا قالوا لك؟

– أخبروني بما حدث..

– إنه سم بفعل فاعل.. هذا ما يظنون وما يقولون... وأظنهم يعتقدون أن الفاعل هو واحد من بيننا.. فابتسم لها "**لانس**" ابتسامة مفاجئة سريعة وقال:

– هذه لعبتهم.. لا فائدة من تكدير خاطرنا بالقلق... يا له من شاي رائع.. منذ وقت طويل لم أنعم بالشاي على طريقتنا الإنجليزية. وبعد فترة كان الجميع يشاركونه مزاجه المتفائل... وفجأة قالت "**أديل**":

– لكن أين زوجتك؟ أليس لك زوجة؟

– بلى لي زوجة.. إنها في "**لندن**".

– لكن ألا تنوي.. أليس الأفضل أن تجيء بها إلى هنا؟

– هناك متسع من الوقت للتفكير في المشروعات... إن "**باتريشيا**" على أحسن ما يرام حيث هي. وبعد أن اقتطع لنفسه شريحة من الكعكة قال:

– هل العمة "**إيفي**" ما زالت على قيد الحياة؟

– آه.. نعم يا "**لانس**"، إنها لا تحب أن تنزل إلينا وتتناول معنا الطعام أو أي شيء لكنها بكل خير... كل ما هناك أنها تبدو غريبة الأطوار بصورة متزايدة. فقال "**لانس**":

– إنها كانت دائما غريبة الأطوار... لابد أن أصعد إليها وأراها بعد الشاي.

- 11 -

قالت السيدة "**رامسيوم**":

– إذن فقد عدت كما تعود قطعة العملة الرديئة بعد التخلص منها! فقال "**لانس**" باسما:

– هو ما تقولين يا عمتي "**إيفي**" ..

– أف.. لقد أسأت اختيار الوقت لرجوعك... إن والدك سعى إلى مقتله أمس... والبيت مملوء برجال البوليس الذين يفتشون كل شيء حتى صندوق القمامة... إنني رأيتهم من النافذة. وأعربت عن تأففها وامتعاضها مرة أخرى ثم أضافت:

– هل جاءت زوجتك معك؟

– لا... إنني تركت "**بات**" في "**لندن**"...

– هذا يدل على بعض الفهم والإدراك... لو كنت مكانك لما جئت بها إلى هنا... لا أحد يعرف ماذا يمكن أن يحدث...

– لها؟ لـ"**باتريشيا**"؟

– لأي إنسان... فتطلع إليها "**لانس**" متأملا وقال:

– هل عندك أية فكرة عن هذا كله يا عمتي "**إيفي**"؟ لم تجب الآنسة "**رامسيوم**" مباشرة... وإنما راحت تقول:

– زارني هنا أمس مفتش بوليس سري ووجّه إليّ بعض الأسئلة... إنه لم يحصل مني على شيء كثير... لكنه لم يكن ساذجًا كما يدل مظهره.. ثم أضافت بلهجة الاهتياج:

–سأقول لك شيئًا... أعتقد أن تلك الفتاة تعرف شيئًا عن الموضوع.... فقال "**لانس**" بدهشة:

– أية فتاة؟

– تلك الفتاة التي تشهق باستمرار... تلك الوصيفة التي كان يجب أن تحضر لي

الشاي الخاص بي عصر اليوم ولكنها لم تحضره... قالوا إنها خرجت بغير إذن. لن أدهش إذا كانت ذهبت إلى البوليس. إنها كانت تنتفض وتتواثب كالأرانب طول اليوم... ولما قلت لها «ماذا بك؟ هل ضميرك يؤنبك؟» أجابتني قائلة «أنا لم أفعل شيئا بالمرة.. لا يمكن أن أفعل شيئا مثل هذا»... فقلت لها: «لكن هناك شيئا يقلقك، أليس كذلك؟» فأخذت تشهق وقالت إنها لا تريدأن تعرض أي واحد للمتاعب وإنها متأكدة أن المسألة كلها غلطة... فقلت لها: «اسمعي يا بنتي... اذهبي إلى البوليس وقولي لهم كل شيء تعرفينه، لا فائدة أبدا من كتمان الحقيقة مهما كانت مكروهة».. وعند ذلك أخذت تذكركلاما فارغا معناه أنها لا يمكن أن تذهب إلى البوليس الذي لن يصدق كلامها... وختمت كلامها بقولها إنها على أية حال لا تعرف شيئا بالمرة. فقال "**لانس**" في تردد:

– ألا تظنين أنها كانت فقط تجعل لنفسها أهمية؟

– نعم... لا أظن.. أظن أنها كانت منزعجة.. أظن أنها رأت أو سمعت شيئا أعطاها فكرة عن المسألة كلها. قد يكون شيئا مهمًّا، وقد لا تكون له أية أهمية.

– ألا تظنين أنها كانت ربما حاقدة لسبب ما على أبي؟ فهزت الآنسة "**رامسيوم**" رأسها بعزم قائلة:

– إنها ليست فتاة يمكن أن يشعر والدك حتى بوجودها... ما من رجل يمكن أن يهتم بهذه الفتاة المسكينة "**جلاديس**" آه.. نعم... إن اسمها "**جلاديس**".

– هل تظنين أنها ربما ذهبت إلى البوليس فعلا؟ فأومأت العمة "**إيفي**" برأسها إيجابا بقوة قائلة:

– نعم... أظن أنها فضلت ألا تقول شيئا للبوليس وهي في البيت لئلا يسمعها أحد... فقال "**لانس**":

– هل تظنين أنها ربما رأت شخصا ما يعبث بالطعام؟ فرمته الآنسة "**رامسيوم**" بنظرة حادة قائلة:

– هذا ممكن... أليس كذلك؟

راحت السيدة "**كرامب**" تصب غضبها على الوصيفة الغائبة أمام "**ماري دوف**" قائلة:

– تلك الملعونة "**جلاديس**" ذهبت دون كلمة واحدة تقولها لي! تسللت دون أن تقول لأحد... خافت أن يستوقفها أحد إذا تكلمت واستأذنت... تصوري أنها تفعل هذا والسيد قد توفي، وهناك ضيف هو السيد "**لانس**" الذي كان غائبا عنا مدة طويلة! وضايقني أكثر أن "**كرامب**" نفسه خرج في يوم راحته وتركني أعمل وحدي! إن الملعونة "**جلاديس**" هي سبب هذه الورطة التي نحن فيها... كيف نتصرف الآن؟ فقالت "**ماري دوف**" تهدئ من روعها:

– سنتدبر الأمر فيما بيننا إذا اختصرنا قائمة الطعام قليلا. وبعد أن ذكرت "**ماري دوف**" أصناف الطعام التي سيقتصر عليها طعام العشاء قالت الطاهية:

– سيكون بإمكاني تقديم هذه الأصناف بسهولة..

– هل معنى هذا أنك سوف تقومين بالخدمة على المائدة يا آنسة؟

– إذا لم تعد "**جلاديس**" في الوقت المناسب. فقالت الآنسة "**كرامب**":

– إنها لن تعود... إنها تبذر نقودها في محلات الملابس، هل تعرفين يا آنسة أن لها صديقا شابا يدعى "**ألبرت**"؟ قالت إنهما سوف يتزوجان في الربيع القادم... هؤلاء البنات لا يعرفن مسؤوليات الزواج.. سليني كيف كان حالي مع "**كرامب**". ثم تنهدت وعادت تقول:

– وماذا بخصوص أدوات الشاي يا آنسة؟ من الذي سيتولى رفعها وتنظيفها؟ فقالت "**ماري**":

– سأفعل أنا هذا... سأذهب الآن للقيام بهذا العمل. ولم تكن الأنوار قد أضيئت في قاعة المكتبة، على الرغم من أن "**أديل فورتسكيو**" كانت لا تزال جالسة فوق الأريكة خلف صينية الشاي. فقالت لها "**ماري**":

– هل أضيء الأنوار يا سيدة "**فورتسكيو**"؟ فلم تجب "**أديل**".. فأضاءت "**ماري**" الأنوار، واتجهت إلى النافذة حيث أسدلت الستائر... وعندئذ فقط أدارت رأسها ونظرت إلى وجه المرأة التي ارتمت إلى الخلف على الوسائد... كانت بجانبها قطعة فطير بالعسل لم تأكلها كلها، وكان قدح الشاي نصف مملوء... إن الموت داهم "**أديل فورتسكيو**" بغتة وبسرعة...

◆◆◆◆◆

قال المفتش "**نيل**" وقد نفد صبره:

- حسنا. فأجاب الطبيب في الحال:

- هو سم "**السيانيد**" في الشاي.

- "**السيانيد**". فنظر إليه الطبيب بشيء من الاستغراب قائلا:

- أراك تلقيت هذا الحادث بضيق.. هل من سبب خاص؟ فأجاب "**نيل**":

- إن المتوفاة كانت مرشحة لدور قاتلة... ثم تحولت إلى ضحية... لا بأس...

- لا بد لك من إعادة التفكير.. أليس كذلك؟

فأومأ المفتش "**نيل**" برأسه إيجابا... كان وجهه يشف عن المرارة، كان يضغط على فكه بحزم.. جريمة قتل ثانية بالسم! "**تاكسين**" في قهوة الصباح التي شربها "**ريكس فورتسكيو**".. و"**سيانيد**" في الشاي الذي شربته "**أديل فورتسكيو**"، ما زالت العملية في دائرة الأسرة أو هذا هو ما بدا.

إن "**أديل فورتسكيو**" و"**جنيفر برسيفال**"، و"**إيلين فورتسكيو**" والقادم الجديد "**لانس فورتسكيو**" - كلهم شربوا الشاي معا في قاعة المكتبة... وقد ذهب "**لانس**" لمقابلة الآنسة "**رامسيوم**" في الدور العلوي... وذهبت "**جنيفر**" إلى غرفة الجلوس الخاصة بها لتحرير بعض الرسائل... وكانت "**إيلين**"آخر من غادر قاعة المكتبة وطبقا لأقوالها فإن "**أديل**" كانت وقتها في تمام الصحة، وكانت تصب لنفسها قدحا أخيرا من الشاي. وبعد ذلك مضى عشرون دقيقة لا يعرف فيها شيء إلى أن جاءت "**ماري دوف**" إلى قاعة المكتبة واكتشفت الجثة..

وفي أثناء تلك الدقائق العشرين سب المفتش "**نيل**" في سره... وقصد من فوره إلى المطبخ... وجد الآنسة "**كرامب**" جالسة إلى مائدة المطبخ وقد زالت عنها عجرفتها السابقة... ولم تبد أدنى حركة عند دخوله. قال لها:

- أين تلك الفتاة؟ ألم تعد؟

- "**جلاديس**"؟ نعم.. لم تعد. ولا أظنها ستعود قبل الساعة الحادية عشرة.

- قلت إنها أعدت الشاي وذهبت به إلى المكتبة؟

– نعم... ولكني لا أظن أن "**جلاديس**" فعلت شيئا يجب ألا تفعله. إن "**جلاديس**" لا يمكن أن تفعل شيئا كهذا إنها فتاة طيبة يا سيدي.. حمقاء نعم لكن ليست شريرة.. لا... لم يكن "**نيل**" ليظن أن "**جلاديس**" شريرة... لم يكن ليظن أن "**جلاديس**" دساسة للسموم... وعلى أية حال فإن "**السيانيد**" لم يوضع في إناء الشاي... وإنما وضع في قدح "**أديل**" بالذات.

– لكن ما الذي جعلها تذهب فجأة على هذه الصورة؟.. لم يكن اليوم راحتها كما قلت...

– لا يا سيدي، إن غدا هو يوم راحتها...

– هل "**كرامب**"؟ وسرعان ما عادت إلى السيدة "**كرامب**" روحها العدوانية السالفة، وارتفع صوتها بالغضب وهي تقول:

– لا تحاول أن تلصق أي شيء بـ "**كرامب**"! إن "**كرامب**" بعيد عن هذا. إنه خرج منذ الساعة الثالثة.. وأنا الآن أحمد الله أنه ذهب في هذا الوقت.... إنه بعيد عن الموضوع تماما مثل السيد "**برسيفال**"!

كان "**برسيفال فورتسكيو**" قد عاد توًّا من "**لندن**"، لكي يستقبلوه بالنبإ المذهل عن هذه المأساة الثانية، ومهما يكن فقد قال لها "**نيل**" بهدوء:

– لم أكن لأتهم "**كرامب**"... كنت فقط أتساءل عما إذا كان يعرف أي شيء من مشروعات "**جلاديس**". فقالت السيدة "**كرامب**":

– إنها لبست أحسن ملابسها: جوربا من النايلون، وحذاء جديداً. إنها كانت تنوي شيئا بلا شك... ثم إنها لم تعد شطائر للشاي بخلاف المعتاد.. نعم، كانت تنوي شيئا، سوف أواجهها بهذا عندما تعود...

شعر المفتش "**نيل**" بقلق يسير عند سماع هذه العبارة الأخيرة، ولكي يتخلص من هذا الشعور صعد إلى غرفة نوم "**أديل فورتسكيو**"، ونفذ منها إلى باب آخر يفضي إلى غرفة جلوسها... وكانت الغرفة أنيقة الأثاث طابعها اللون الوردي، يكسو أرضها بساط ثمين من اللون نفسه، على أن "**نيل**" لم يلق الآن سوى نظرة عابرة على الغرفة بعد أن فحصها بدقة بالأمس، واهتم اهتماما خاصا بالمكتب

الصغير الأنيق الذي ضمته الغرفة... لكنه لم يلبث أن تصلب في مكانه، فقد استرعى نظره رؤية قطعة سميكة من الوحل فوق البساط.

فتقدم "**نيل**" إلى قطعة الوحل وتناولها.. فوجدها ما زالت رطبة. ولما نظر حوله لم يجد آثار أقدام ظاهرة... فقط هذه القطعة الوحيدة من وحل الطريق. راح المفتش "**نيل**" يدور بنظره في غرفة نوم الوصيفة... "**جلاديس مارتن**".. كانت الساعة قد جاوزت الحادية عشرة ليلا، وقد عاد "**كرامب**" من راحته منذ نصف ساعة ولكن "**جلاديس**" لم تعد، ولم يظهر لها أي أثر.

كانت الغرفة مغلقة النوافذ لا تفتح إلا نادرا. كان الفراش مبعثرا لا يدل على نظافة صاحبته... وكانت ملابسها الخاصة من النوع الرخيص... ولم يكن في الغرفة شيء له قيمة. وتحول عن الملابس وانتقل إلى تفتيش الأدراج.

وهنا كانت "**جلاديس**" تحتفظ بالنفائس التي تعتز بها، وهي بطاقات مصورة وقصاصات جرائد، ونماذج للتطريز ووصفات مطبوعة عن التجميل وتفصيل الملابس ونصائح عن الأزياء... وقد تولى المفتش "**نيل**" ترتيب هذه الأشياء بعناية حسب أنواعها.. وكانت البطاقات المصورة تمثل مناظر الأمكنة التي قدر المفتش أن "**جلاديس**" كانت تمضي فيها إجازتها الأسبوعية... كان بينها ثلاث بطاقات مصورة مذيلة بتوقيع "**ألبرت**"، ففهم أن هذا هو اسم الشاب الذي أشارت إليه السيدة "**كرامب**"، وكانت البطاقة الأولى تحمل هذه الكلمات بخط كاتب شبه أمي: «أطيب التمنيات وحشتني كثيرا».

المخلص على الدوام
"**ألبرت**"

وكانت البطاقة الثانية تحمل هذه الكلمات «سوف أراك قريبا... لاتنسي موعدنا، وتذكري أنه بعد هذا سوف نعيش في منتهى السعادة».. واقتصرت البطاقة الثالثة على هذه الكلمات: «لا تنسي... أنا واثق بك يا "**جلاديس**"... اقبلي حبي».

"**ألبرت**"

وانتقل "**نيل**" بعد ذلك إلى قصاصات الجرائد وقسّمها إلى مجموعات... كانت هناك مجموعة عن تفصيل الملابس والتجميل، ومجموعة عن نجوم السينما التي بدا أن "**جلاديس**" كانت مدمنة لها إلى حد كبير. كما استهوتها أيضًا آخر التطورات عن عجائب العلوم ثم مجموعة عن الأطباق الطائرة، وعن الأسلحة السرية وعن عقاقير الصدق، وعن عقاقير أخرى غريبة توصل الأطباء إلى اكتشافها... لكن رغم هذا كله فإن المفتش "**نيل**" لم يجد في محتويات الغرفة أقل أثر يرشده إلى مكان اختفائها... بل لم يجد أي شيء مكتوب له علاقة بالمنزل يكون بمثابة بصيص من النور يكشف عن موت "**ريكس فورتسكيو**". لم يجد شيئا مكتوبا يشير إلى ما قد تكون "**جلاديس**" رأته أو سمعته في المنزل... كان عليه أن يلجأ إلى التخمين لكي يعرف لماذا تركت الوصيفة صينية مأكولات الشاي في الصالة... ولماذا اختفت فجأة على تلك الصورة.. هكذا لم يجد المفتش "**نيل**" إلا أن ينصرف من الغرفة متنهدا ويغلق بابها خلفه... وبينما هو يتأهب للنزول سمع وقع أقدام تجري صاعدة السلم، وشاهد مساعده "**هاي**" في أسفل السلم يتطلع إليه وهو يلهث قليلا وسمعه يقول له بسرعة:

– سيدي... سيدي... لقد وجدناها!

– وجدتموها؟

– الوصيفة "**جلاديس**" يا سيدي؟ إن زميلتها "**أليس**" تذكرت أنها لم تحضر الملابس المنشورة على الحبل خلف المنزل... وهكذا أخذت بطارية وذهبت لإحضارها، فاصطدمت بالجثة وكادت تسقط فوقها... جثة الوصيفة "**جلاديس**"! وكانت مخنوقة بجورب حول رقبتها... والظاهر أنها ظلت ميتة منذ ساعات... وكانت الدعابة الشريرة هي وضع «مشبك غسيل» على أنفها.

◆◆◆◆◆

- 12 -

طوت السيدة المتقدمة في السن المسافرة بالقطار نسخ الجرائد الثلاث التي قرأتها ووضعتها بجانبها... كانت الجرائد الثلاث تحمل عناوين رئيسية مشتركة نشرتها بالأحرف الكبيرة عن الفواجع الثلاث التي وقعت في "**يورتري لودج**".

والواقع أن السيدة الوقور جلست في مكانها مشدودة الظهر تتطلع من نافذة القطار وقد زمت شفتيها، وتجلت أمارات الحزن الشديد والسخط على محياها. وفي محطة الوصول استقلت الآنسة "**ماربل**" سيارة أجرة طلبت إلى سائقها أن يذهب إلى "**يورتري لودج**" حيث وجدت المكان عند وصولها شبه قلعة محاصرة برجال البوليس فضلا على جيش من الصحفيين والمصورين...

وعلى أية حال فإن مظهرها الوقور الطيب جعل رجال البوليس يسمحون لسيارتها بالمرور والوقوف أمام باب المنزل؛ إذ قدروا أنها لابد من أن تكون من أقارب الأسرة. واستقبلها "**كرامب**" باحترام إذ كان يعرف بحكم خبرته أقدار الناس، وسألها في أدب جم:

– نعم يا سيدتي؟ فقالت الآنسة "**ماربل**":

– هل يمكن أن أقابل سيدة البيت؟ فأفسح لها "**كرامب**" الطريق، وحمل حقيبتها المتوسطة الحجم إلى الصالة وقال لها في تردد:

– حسنا يا سيدتي... إنني لا أعرف بالضبط أية سيدة تريدين؟

– إنني جئت للكلام في موضوع الفتاة المسكينة التي قتلت: "**جلاديس مارتن**"...

– آه فهمت يا سيدتي. ونظر إلى باب قاعة المكتبة حيث تصادف ظهور "**باتريشيا**" في هذه اللحظة، فقال "كرامب" للزائرة:

– إليك السيدة "**لانس فورتسكيو**" يا سيدتي..

فتقدمت "**بات**" إلى السيدة الوقور، ووقفت كل منهما تنظر إلى الأخرى برهة.. والواقع أن الآنسة "**ماربل**" خامرها شيء من الدهشة لرؤية واحدة مثل "**باتريشيا**"

في هذا البيت بالذات.. إن البيت بدا لها كما تصورته.. لكن "**باتريشيا**" بدت لها في غير مكانها الصحيح. وقال "**كرامب**" يفسر الموقف:

– المسألة بخصوص "**جلاديس**" يا سيدتي. فبدت "**باتريشيا**" مترددة.. ولكنها دعت السيدة إلى قاعة المكتبة وقالت لها:

– ألا يوجد شخص معين تريدين مقابلته؟.. الحقيقة أنني لن أفيدك كثيرا؛ لأنني أنا وزوجي جئنا من "**إفريقيا**" منذ أيام قليلة. إننا في الحقيقة لا نعرف شيئا كثيرا عن الموقف هنا.. لكن يمكنني أن أدعو لك أخت زوجي، وزوجة شقيق زوجي. أحست الآنسة "**ماربل**" من فورها بميل إلى هذه الفتاة، لقد راقتها جاذبيتها وبساطتها ولسبب ما شعرت بالأسف لوجودها في هذا البيت.. على أنها قالت لها وهي تخلع قفازها:

– المسألة في غاية البساطة... إنني قرأت في الجرائد عن مقتل "**جلاديس مارتن**"... وتصادف أنني أعرف كل شيء عنها فهي من أهل بلدتي، وقد دربتها على الخدمة المنزلية... ونظرا لوقوع هذا الحادث الشنيع فقد شعرت بأنه لابد لي من الحضور لتقديم ما يمكن من المساعدة. فقالت "**باتريشيا**":

– أظن أنك أحسنت صنعا بالمجيء... فليس هناك من يعرف الكثير عنها. أعني أقاربها وما إلى ذلك... فقالت الآنسة "**ماربل**":

– بالطبع... فهي بلا أقارب... إنها جاءتني من ملجإ أيتام "**سانت فيث**" وهو دار خيرية ممتازة لكن تنقصها الأموال اللازمة... ونحن نبذل كل جهد لمساعدة الفتيات وتدريبهن وتأهيلهن.. وقد جاءتني "**جلاديس**" وهي في سن السابعة عشرة فعلمتها كيف تباشر إعداد المائدة، وتحفظ الفضيات وما إلى ذلك.. وبالطبع لم تمكث طويلا كعادتهن جميعا... وحينما أتمت بعض التدريب ذهبت للعمل في مقهى... إن الفتيات يرغبن دائما في هذا العمل؛ إذ يعتقدن أنه يهيئ لهن الحرية والجو المريح.. فقالت "**بات**":

– إنني لم أرها بالمرة... هل كانت مليحة؟ فأجابت الآنسة "**ماربل**":

– آه.. لا.. ثم إنها كانت مريضة بالغدد وفي وجهها نمش كثير... ثم إنها أقرب

إلى الغباء... ولا أظن أنها تمكنت من أن تتخذ لها أصدقاء في أي مكان. كانت المسكينة شديدة الاهتمام بالرجال.... لكن الرجال لم يكونوا ليبدوا لها أقل اهتمام... وكانت الفتيات زميلاتها يسخرن منها ويعيِّرْنها. فقالت "**بات**":

– يا للقسوة! فقالت الآنسة "**ماربل**":

– نعم يا عزيزتي.. الحياة قاسية فعلا... والظاهر أن "**جلاديس**" خاب أملها في حياة المقاهي والمطاعم... فلم تحدث لها وقائع غرامية ولا أشياء مسلية، وكان الوقوف على القدمين باستمرار من الأمور الشاقة... وربما كان هذا هو السبب الذي جعلها تعود إلى الخدمة في البيوت.. هل تعرفين كم لبثت هنا؟ فهزت "**بات**" رأسها قائلة:

– سمعت أنها لم تعمل إلا منذ شهر أو شهرين... وتوقفت "**بات**" برهة ثم عادت تقول:

– إنه لشيء فظيع جدا أن يزج بها في الحوادث التي وقعت هنا... أظن أنها ربما رأت شيئا أو لاحظت شيئا. فقالت الآنسة "**ماربل**" بصوتها الرقيق:

– إن «مشبك الغسيل» هو الشيء الذي ضايقني فعلا...

– مشبك الغسيل؟

– نعم، إنني قرأت هذا في الجرائد... أظن أنه صحيح؟ أعني أنهم عندما وجدوها كان هناك مشبك غسيل فوق أنفها. فأومأت "**بات**" إيجابا... وعندئذ صعد الدم إلى وجه الآنسة "**ماربل**" الوردي وراحت تقول:

– إن هذا هو ما أثار غضبي... كانت هذه مبادرة قاسية دنيئة... إنها أعطتني صورة للقاتل الذي يفعل شيئا كهذا! فقالت "**بات**" وهي تنهض:

– فهمت غرضك والأفضل أن تأتي معي لمقابلة المفتش "**نيل**". إنه يتولى تحقيق القضية، وهو موجود هنا الآن.. وأعتقد أنك سوف تحبينه.. فهو إنسان طيب.

راح المفتش "**نيل**" ينظر بشيء من الاهتمام إلى السيدة المتقدمة في السن الوديعة المحيا التي جلست أمامه في "**يورتري لودج**".. كان مترددا أول الأمر كيف يكون تصرفه إزاءها، لكنه لم يلبث أن حزم أمره في الحال.. فإن الآنسة "**ماربل**" يمكن أن

تكون ذات نفع له... فهي سيدة ذات استقامة وسداد رأي، وهي كأغلب السيدات المسنات أمامها وقت فسيح ومقدرة على تنسم الأقاويل والشائعات واستخلاص أشياء من سيدات أسرة "**فورتسكيو**" وخدمها لا تتيسر له ولا لمساعديه من رجال البوليس ... وهكذا تلقاها المفتش "**نيل**" بالحفاوة قائلا:

– إنه لكرم منك يا آنسة "**ماربل**" أن تجيئي إلينا.

– كان هذا واجبي أيها المفتش... إن الفتاة عاشت في بيتي... وأنا أعد نفسي من بعض النواحي مسؤولة عنها،كانت فتاة بلهاء كما لعلك لاحظت... فقال المفتش "**نيل**" وهو ينظر إليها بتقدير:

– نعم... هو ذلك... فمضت الآنسة "**ماربل**" تقول:

– عندما قلت إنها بلهاء فإن ما قصدت إليه هو أنها كانت فتاة سريعة التصديق... وكانت من نوع الفتيات اللاتي لا يترددن في إعطاء كل ما لديهن من مدخرات لأي محتال نصاب.. كانت في الحقيقة تريد شابًّا بأي ثمن.. وهذا هو ما دفعها إلى مغادرة بلدتنا القليلة الرجال... وأظنها ظفرت في النهاية بالرجل الذي كانت تريده. فأومأ المفتش "**نيل**" قائلا:

– هذا ما يبدو.. وأظن أن اسمه "**ألبرت إيفانز**"... والظاهر أنها التقت به في أحد معسكرات قضاء الإجازة... إنه لم يعطها أي خاتم أو أي شيء آخر... وكان يعمل مهندسا في المناجم طبقا لما قالته الطاهية. فقالت الآنسة "**ماربل**":

– يبدو أن هذا غير محتمل بالمرة... ولكنني أعتقد أن هذا هو ما قاله عن نفسه... فهي كما قلت لك سريعة التصديق.. أليست لـ "**ألبرت إيفانز**" صلة بالقضية؟

– نعم.. لا أظن أن هناك تعقيدات في القضية من هذا النوع... إذ يبدو أنه لم يقم بزيارتها بالمرة... وكان يرسل إليها بطاقة مصورة بين وقت وآخر، وكان هذا عادة من أحد الموانئ البحرية. وربما كان مهندسا صغيرا في سفينة تعمل في أحد موانئ البلطيق. فقالت الآنسة "**ماربل**" وقد أطبقت شفتيها:

– لا بأس... لقد وجدت أخيرا مغامرتها الغرامية التي كانت تسعى إليها، لكن

مسألة «مشبك الغسيل» كانت هي عنصر الشر والقسوة والتجرد من كل إنسانية!

– إنني أقدر شعورك في الواقع. فسعلت الآنسة "**ماربل**" وقالت بلهجة أقرب إلى الاعتذار:

– ترى هل يتيسر لي أن أساعد بدوري المتواضع في القضية؟... وهل يمكن أن أعرف منك الحقائق الأساسية فيها؟ فقال المفتش "**نيل**" باسما وقد تزايد اهتمامه بهذه السيدة الودود:

– هذه الحقائق معروفة.... فإن السيد "**فورتسكيو**" توفي في مكتبه نتيجة تسمم بـ"**التاكسين**".

– والسيدة "**فورتسكيو**"؟

– السيدة "**فورتسكيو**" تناولت الشاي مع الأسرة في قاعة المكتبة... وكان آخر شخص انصرف من القاعة هو الآنسة "**إيلين فورتسكيو**" ابنة زوجها... وقد قررت أنها عندما غادرت القاعة كانت الآنسة "**فورتسكيو**" تصب لنفسها قدحا آخر من الشاي... وبعد ثلث أو نصف ساعة ذهبت الآنسة "**دوف**" مشرفة البيت إلى القاعة لرفع صينية الشاي وملحقاتها... فوجدت السيدة "**فورتسكيو**" ما زالت جالسة على الأريكة، لكن ميتة.. وكان بجانبها قدح شاي مملوء إلى ربعه فقط، وقد عثرنا في بقية القدح على "**السيانيد**"... فقالت الآنسة "**ماربل**":

– والوفاة الثالثة؟

– لابأس... إن الوقائع هنا تبدو واضحة، فإن الوصيفة "**جلاديس**" حملت صينية الشاي إلى قاعة المكتبة، ثم جاءت بالصينية الثانية، ولكنها تركتها في الصالة... إن الفتاة كانت شاردة الفكر طوال اليوم كما يظهر.. وقد استنتجت السيدة "**كرامب**" أنها خرجت لقضاء السهرة دون أن تخبر أحدا... وأظنها بنت هذا الاستنتاج على ارتداء الفتاة لجوارب نايلون وحذاء جديد.. لكنها كانت مخطئة.. فإن الفتاة قد تذكرت فجأة أنها لم ترفع بعض الملابس التي كانت منشورة خلف البيت فوق حبل الغسيل، فأسرعت خارجة لإحضارها، ويظهر أنها عندما رفعت نصفها تقريبا، فاجأها شخص ما بغتة دون أن تدري، وخنقها

بجورب لفه حول رقبتها... أظن هذا ما حدث.. فقالت الآنسة "**ماربل**" :

– شخص من خارج البيت؟ فأجاب المفتش "**نيل**" :

– ربما... لكن ربما أيضًا من داخل البيت... شخص كان أو كانت في انتظار الفرصة للانفراد بالفتاة... إن الفتاة كانت مضطربة وعصبية عندما استجوبناها لأول مرة... ولكننا للأسف لم نقدر هذه الظاهرة التقدير المناسب. فقالت الآنسة "**ماربل**" :

– إن الناس كثيرا ما يبدون مرتبكين عندما يستجوبهم البوليس، أنتم معذورون بلا شك..

– هو ذلك يا آنسة "**ماربل**"... لكن في هذه المرة كانت المسألة أكثر من ذلك... في ظني أن الفتاة "**جلاديس**" قد رأت شخصا يفعل شيئا بدا لها أنه يحتاج إلى تفسير.. ومع ذلك فأظن أنه لم يكن شيئا واضحا محددا، وإلا لذكرته لنا بصراحة.. ولكنني أعتقد أنها كشفت هذه الحقيقة أمام الشخص المذكور... فأدرك هذا الشخص أن "**جلاديس**" أصبحت خطرا عليه... غمغمت الآنسة "**ماربل**" كأنما تكلم نفسها :

– وهكذا خنقت "**جلاديس**"، ووضع «مشبك الغسيل» على أنفها...

– نعم.. وهذه هي اللمسة القذرة في الموضوع... لمسة استهزاء قذرة.. عملية تبجح وتظاهر بالجبروت بغير لزوم... فهزت الآنسة "**ماربل**" رأسها وقالت :

– من الصعب أن نقول هذا... إن الوقائع كلها تشكل صورة متكاملة. فتطلع إليها المفتش "**نيل**" باستغراب قائلا :

– إنني لا أفهمك تماما يا آنسة "**ماربل**"! ماذا تعنين؟

– لا بأس... أولا : أمامنا السيد "**ريكس فورتسكيو**" يقتل في مكتبه بالمدينة... وبعد ذلك هناك السيدة "**فورتسكيو**" التي جلست هنا في قاعة المكتبة تشرب الشاي، وكان مع الشاي فطائر وعسل.. ثم "**جلاديس**" المسكينة وعلى أنفها «مشبك الغسيل».. إن السيدة "**لانس فورتسكيو**" الفاتنة قالت لي إن المسألة كلها تبدو بلا معنى ولا منطق ولكني لم أوافقها على هذا الرأي... لأن

الذي يسترعي نظري هو وجود هذا المنطق فعلا... وكأنه إيقاع غنائي واضح... أو أغنية شعرية منغومة المقاطع... أليس كذلك؟ فقال المفتش بتؤدة:

– لا أظن أن... ولكن الآنسة "**ماربل**" استطردت تقول بسرعة:

– أظنك في الخامسة والثلاثين من العمر ياسيدي المفتش، ولا بد من أنك كنت في طفولتك ضد الأغنيات الشعرية التي كانوا يرغمون الأطفال على حفظها في دور الحضانة؟ لكن إذا كنت تعرف أغنية منها فسوف تجد أنها واضحة المعنى والدلالة... بالطبع إن كلامي هذا فيه اجتراء عليك؛ ولذلك أرجو المعذرة..

– أبدا يا آنسة "**ماربل**"... قولي كل ما يحلو لك.

– هذا كرم منك في الواقع ... وإن كان كلامي سيبدو كأنه من تُرَّهات الشيخوخة... لكن هل بحثت مسألة الطيور السوداء المغردة المعروفة باسم الشحرور؟

- 13 -

ظل المفتش "**نيل**" يحدق إلى الآنسة "**ماربل**" في حيرة تامة... وكان أول ما تبادر إلى ذهنه عندما سمع هذا السؤال أن السيدة المسنة فقدت عقلها... وردد كلمتها قائلا :

– الشحرور؟

– نعم. وراحت الآنسة "**ماربل**" تردد هذه الأغنية: غن أغنية صغيرة بقيمة ستة بنسات أو ملء جيب من الشعير. أربعة وعشرون من الطيور السوداء مجنونة في فطيرة للإفطار. وعندما فتحت الفطيرة بدأت الطيور تغرد. لم يكن طبقا لذيذا يقدم للملك المتفرد.

وعندما كان «الملك» في «بيت المال» يعد الأموال بلا كلل، كانت «الملكة» في صالونها تأكل الخبز والعسل. وكانت «الوصيفة» في الحديقة تنشر الغسيل. وعندما جاء العصفور نقر أنفها النحيل. وما إن فرغت الآنسة "**ماربل**" من ترديد

الأغنية حتى هتف المفتش:

- رحماك يا إلهي! فقالت الآنسة "**ماربل**":

- إن الأغنية تنطبق على موضوع القضية.. كانت هناك حبوب الشعير في جيبه أليس كذلك؟ إن إحدى الجرائد ذكرت ذلك.. فأومأ المفتش إيجابا.. فقالت الآنسة "**ماربل**" بلهجة الانتصار:

- واسم "**ريكس فورتسكيو**" فيه كلمة "**ريكس**"، معناها "ملك". وكان "الملك" في «بيت المال» والسيدة "**فورتسكيو**" «الملكة» كانت في قاعة الجلوس، تأكل الخبز والعسل... ولكي تكمل الصورة فإن القاتل كان لا بد له من وضع «مشبك الغسيل» على أنف "**جلاديس**" المسكينة.. لابد من العصفور.. فقال المفتش "**نيل**":

- هل تقصدين أن العملية كلها عملية جنونية؟

- على الإنسان ألا يتسرع في الوصول إلى النتائج، من المؤكد أنها عملية غريبة جدا... لكن ينبغي في الواقع إجراء تحريات عن الطيور السوداء... لأنه لا بد من وجود طيور سوداء في القضية أيضًا. في هذه اللحظة دخل إلى الغرفة "**هاي**" مساعد المفتش "**نيل**" يقول بسرعة:

- سيدي... ولكنه توقف عند رؤيته الآنسة "**ماربل**" فقال المفتش "**نيل**":

- أشكرك يا آنسة "**ماربل**"... سأبحث هذه المسألة... ونظرا لاهتمامك بالفتاة... فربما يهمك أن تلقي نظرة إلى محتويات غرفتها.. إن "**هاي**" سوف يريك إياها. فتقبلت الآنسة "**ماربل**" هذا الكلام الذي كان بمثابة إذن بالانصراف وانسحبت خارجة... بينما غمغم المفتش لنفسه:

- الطيور السوداء! أما المساعد فإنه حدق إليه وهو لا يفهم شيئا. فقال له المفتش:

- نعم يا "**هاي**".. ماذا عندك؟ فقال "**هاي**" بسرعة:

- انظر إلى هذا يا سيدي...وأبرز شيئًا ملفوفا في منديل قائلا:

- وجدناه بين أشجار الحديقة... ومن الممكن أنه ألقي من إحدى النوافذ

الخلفية.

ثم وضع ما جاء به على المنضدة أمام المفتش الذي انحنى لكي يفحصه باهتمام وانفعال متزايدين... وكان عبارة عن علبة مربى النارنج مملوءة إلا قليلا. أخذ المفتش يحدق إليها دون كلام، وقد نم وجهه عن تبلد غريب ولكن الحقيقة هي أن ذهن المفتش راح يسابق الرياح في ميدان التخيل والتخمين. وبدا مشهد متحرك كشريط سينمائي في خياله... رأى بعين الخيال علبة المربى المليئة ويدا تمتد إليها، ترفع غطاءها بعناية وتأخذ مقدارا قليلا من المربى وتمزجه بمركب «**التاكسين**»، وتعيده إلى العلبة ثم تسوي سطح المربى وتعيد الغطاء إلى مكانه بإحكام... وعند هذه النقطة توقف عن تخيله وسأل مساعده:

– هل يخرجون المربى من علبتها الأصلية ويضعونها في أوان منزلية؟

– لا يا سيدي، جرت العادة منذ الحرب على إبقاء المربى في علبتها الأصلية بسبب نقص المواد في أثناء الحرب. وأكثر من هذا فإن السيد "**فورتسكيو**" كان الوحيد في الأسرة الذي يتناول النارنج في الإفطار، وأيضًا السيد "**برسيفال**" عندما يكون في المنزل... وبقية الأسرة كانت تأكل أنواعا أخرى من المربى أو العسل. وعاد الشريط الخيالي يدور في ذهن المفتش بعد انقطاعه فترة.. الصورة المتحركة تمثل مائدة الإفطار... و"**فورتسكيو**" يمد يده إلى علبة النارنج ويأخذ ملعقة من المربى ويبسطها على قطعة التوست بالزبد... هذه طريقة أسهل كثيرا من المخاطرة بدس السم في قدح قهوته... وبعد ذلك؟ استبدال علبة المربى بعلبة أخرى مماثلة أخذ منها المقدار نفسه... ثم نافذة مفتوحة... ويد تمتد وتلقي العلبة المسممة بين الأشجار... يد من تكون؟ لم يلبث المفتش "**نيل**" أن أفاق من تخيلاته وقال لمساعده بصوت عملي:

– لا بد لنا بالطبع من تحليل هذه العلبة.. لمعرفة ما إذا كان فيها أي أثر لـ"**التاكسين**"... يحسن ألا نتعجل النتائج...

– بالطبع يا سيدي... ثم قد تكون هناك بصمات أصابع على العلبة... فقال المفتش "**نيل**" باكتئاب:

– قد لا تكون هي البصمات نفسها التي نريدها... ستكون هناك بالطبع بصمات "**جلاديس**" و "**فورتسكيو**"، و"**كرامب**" وربما بصمات السيدة "**كرامب**" أيضًا وبصمات البقال، وغيرها! إذا كان هناك من وضع "**التاكسين**" في هذه العلبة فلا بد أنه احتاط لئلا تظهر بصمات أصابعه.. على أية حال يحسن ألا نتعجل النتائج كما قلت.

◆◆◆◆◆

ذهب المفتش "**نيل**" للبحث عن "**ماري دوف**"... فوجدها في إحدى غرف النوم في الدور الأول تشرف على الخادمة "**أليس**" وهي تنزع الأغطية عن الفراش. دهش المفتش وقال:

– هل سيأتي أحد للإقامة هنا؟ فقابلت "**ماري**" سؤاله بالابتسام... وبدت له كعادتها هادئة مجردة من كل انفعال، بعكس الخادمة "**أليس**" التي كانت متجهمة متذمرة.. وقالت "**ماري**" ردا على السؤال:

– الحقيقة أن العكس هو الصحيح. ولما نظر إليها المفتش متسائلا قالت:

– هذه هي غرفة الضيوف التي كنا جهزناها للسيد "**جيرالد رايت**".

– "**جيرالد رايت**"؟ من هو؟

– صديق للآنسة "**إيلين فورتسكيو**".

– هل كان آتيا إلى هنا؟ متى؟

– أعتقد أنه وصل إلى فندق "**جولف أوتيل**" في اليوم التالي لوفاة السيد "**فورتسكيو**"..

– اليوم التالي؟ فقالت "**ماري**" وما زال صوتها مجردا من أي انفعال:

– هكذا قالت الآنسة "**إيلين**"... لقد أخبرتني بأنها تريد أن يأتي إلى هنا، ويقيم في البيت مدة ضيافته... ولذلك جهزت هذه الغرفة ولكن يظهر أنه آثر البقاء في الفندق.

– فندق "**جولف أوتيل**"؟

– نعم. وانتهت الخادمة من جمع الملاءات والفوط وغادرت الغرفة.. فنظرت "**ماري دوف**" إلى المفتش مستطلعة وقالت:

– هل أردت رؤيتي لشيء؟

– يهمني في التحقيق الآن أن أعرف التوقيت بوضوح ودقة... لقد بدا لي أن أفراد الأسرة لم يذكروا هذه التوقيتات بالوضوح الكافي، أما أنت يا آنسة "**دوف**" فقد رأيتك دقيقة في تحديد الوقت... وهذه مقدرة منك أضيفها إلى مقدرتك في الإشراف على شؤون هذا البيت رغم الفواجع التي حدثت فيه...كانت آخر مرة رأيت فيها "**جلاديس مارتن**" في الصالة قبل موعد الشاي، وكان ذلك في الساعة الخامسة إلا الثلث؟ أليس كذلك؟

– بلى... وقد طلبت منها إدخال الشاي..

– أنت نفسك كنت آتية من أين؟

– من فوق السلم... وقد ظننت وقتها أنني سمعت جرس التليفون قبل ذلك بدقائق.

– أتظنين أن "**جلاديس**" ردت على التليفون؟

– نعم.. كانت نمرة غلط... كان المتكلم يطلب محل كي الملابس.

– وكانت هذه آخر مرة رأيتها فيها؟

– إنها أدخلت صينية الشاي إلى قاعة المكتبة بعد ذلك بحوالي عشر دقائق.

– وبعد ذلك وصلت الآنسة "**إيلين فورتسكيو**"؟

– نعم... بعد ثلاث أو أربع دقائق تقريبا.. وبعدئذ صعدت أنا؛ لكي أخبر السيدة "**برسيفال**" بأن الشاي جُهِّز..

– هل هذا ما كنت تفعلينه عادة؟

– آه... لا... إنهم يجيئون لشرب الشاي وقتما يشاءون لكن السيدة "**فورتسكيو**" سألت وقتها لماذا لم يحضر الآخرون؟ وكنت أظن أن السيدة "**برسيفال**" نازلة... ولكن هذا الظن كان خاطئا.. وعندئذ قاطعها المفتش... فقد وجد شيئا جديدا هنا وقال:

– تقصدين أنك سمعت شخصا ما يتحرك في الدور العلوي؟

– نعم... عند قمة السلم كما ظننت... لكن لم ينزل أحد. ولذلك صعدت بنفسي.. وكانت السيدة "**برسيفال**" في غرفة نومها... ووجدتها جاءت توًّا من الخارج حيث كانت تتمشى..

– تتمشى؟ مفهوم.. متى كان الوقت عندئذ؟

– آه... حوالي الساعة الخامسة كما أظن...

– والسيد "**لانس فورتسكيو**" متى وصل؟

– بعد دقائق من نزولي السلم مرة ثانية... وكنت ظننت أنه وصل قبل هذا الموعد... لكن... فقاطعها المفتش "**نيل**" قائلا:

– لماذا ظننت أنه وصل قبل ذلك؟

– لأنني ظننت أنني لمحته من نافذة «بسطة» السلم.

– في الحديقة؟

– نعم.. لمحت شخصا بين شجيرات سور الحديقة... وخطر لي أنه ربما كان هو...

– كان هذا بعد أن أخبرت الآنسة "**برسيفال**" بأن الشاي جُهِّز؟

– لا... كان قبل هذا عندما كنت نازلة في المرة الأولى.. فحدق إليها المفتش "**نيل**" قائلا:

– هل أنت متأكدة من هذا يا آنسة "**دوف**"؟

– نعم.. كل التأكد.. وهذا هو السبب في أنني دهشت عندما رأيته قادما... عندما دق جرس الباب الخارجي. هز المفتش "**نيل**" رأسه... لقد غالب شعور الانفعال الذي تملكه حتى لا يتسرب إلى صوته... وقال:

– لا يمكن أن يكون "**لانس فورتسكيو**" هو الذي لمحته في الحديقة.. فإن القطار الذي جاء به كان موعد وصوله في الساعة الرابعة والدقيقة 28 ولكنه تأخر 9 دقائق.. فوصل إلى محطة "**بايدون هيث**" في الساعة الرابعة والدقيقة 37... وكان لا بد له من الانتظار بضع دقائق لركوب سيارة أجرة... إذ إن ذلك القطار يصل دائمًا مليئا بالركاب... والواقع أن الساعة كانت الخامسة إلا الربع تقريبا

عندمـا غـادر "**لانس**" المحطة. أي بعـد رؤيتك لـذلك الرجل في الحـديقـة بخـمس دقائق، والمسافة بين المحطة والبيت نحو عشر دقائق بالسيارة.. والأرجح أن الساعة كانت تناهز الخامسة إلا خمس دقائق عندما دفع إلى السائق أجره أمام البيت،لا ، لم يكن "**لانس فورتسكيو**" هو الذي لمحته في الحديقة.

– أنا متأكدة أنني رأيت شخصا..

– نعم... رأيت شـخـصـا بلا شك.. كـان الظلام قـد بـدأ يخـيم ولم يكن بإمكانك رؤية الشخص بوضوح.

– لا، لم أتمكن من رؤية وجهه. رأيت فقط هيئته فقد كان طويلا ونحيلا.. وكنا في انتظار حضور "**لانس فورتسكيو**"... ولذلك استخلصت أنه هو..

– كان ذاهبا... في أي اتجاه؟

– خلف سياج الشجيرات في اتجاه الجانب الشرقي للمنزل.

– يوجد هناك باب جانبي... هل يظل موصدا؟

– لا يوصد إلا في موعد إيصاد البيت كله للنوم.

– كـان بإمكـان أي شـخص دخـول المنزل عن طريق هذا البـاب الجـانبي دون أن يلاحظه أحد من أهل البيت.

– أظن هذا... نعم. ثم أضافت بسرعة:

– تعني أن الشخص الذي سمعت صوته فيما بعد في الدور العلوي جاء من هذا الطريق؟

– شيء كهذا.

– لكن من هو؟

– هذا ما يجب أن نعرفه.. أشكرك يا آنسة "**دوف**". وعندما استدارت "**ماري**" للانصراف قال لها بلهجة عرضية:

– على فكرة، ألا يمكنك أن تحدثيني بشيء عن الطيور السوداء؟

– ماذا قلت؟

– أسأل عن الطيور السوداء.

– تقصد تلك المسألة السخيفة التي حدثت في الصيف الماضي؟ لكن من المؤكد أن هذا لا يمكن. وتوقفت عن إتمام كلامها... فقال المفتش "**نيل**" :

– إنني سمعت كلاما عن هذه المسألة. لكنني كنت متأكدا أنني سوف أجد عندك تقريرا واضحا عنها.

– إن المسألة كانت مزاحا سخيفا... لقد وجدت أربعة طيور سوداء ميتة فوق مكتب السيد "**فورتسكيو**" في غرفة مكتبه هنا.. كان الوقت صيفا والنوافذ مفتوحة. وقد فكرنا في أن الذي فعل هذا لا بد أن يكون صبي البستاني وإن كان قد أنكر بإصرار... لكنها كانت أربعة طيور سوداء فعلا أطلق عليها البستاني الرش عندما كانت جاثمة على الأغصان قرب أشجار الفاكهة..

– وقد وضعها شخص ما على مكتب السيد "**فورتسكيو**" ؟

– نعم.

- 14 -

– يؤسفني يا آنسة "**فورتسكيو**" أن أقلقك مرة ثانية، لكنني أريد أن أستوضح هذه النقطة... نحن نعرف أنك كنت آخر شخص رأى السيدة "**فورتسكيو**"على قيد الحياة... كانت الساعة حوالي الخامسة والثلث عندما غادرت قاعة المكتبة؟ فأجابت "**إيلين**" :

– حوالي ذلك... لا يمكن أن أقول بالضبط فإن الإنسان لا ينظر إلى الساعة طول الوقت..

– طبعا لا،في أثناء الفترة التي جلست فيها وحدك مع السيدة "**فورتسكيو**" بعد انصراف الآخرين، ماذا كان محور الحديث بينكما؟

– هل يهم معرفة نوع الحديث؟ فأجاب المفتش "**نيل**" :

– ربما لا يهم... لكنني قد أجد فيه دليلا يرشدني إلى ما كان يشغل بال السيدة "**فورتسكيو**"...

– تقصد . . . تظن أنها فعلت هذا بيدها؟

لاحظ المفتش "**نيل**" إشراقة وجهها وهي تقول هذا الكلام . . . من المؤكد أن شيئا كهذا يمكن أن يكون حلاً ملائما فيما يتعلق بالأسرة .

لكن المفتش "**نيل**" استبعد هذا إطلاقا . . . ففي رأيه أن "**أديل فورتسكيو**" لم تكن من الطراز الذي يقدم على الانتحار . . . حتى بفرض أنها دست السم لزوجها وغدت مقتنعة بأن الجريمة سوف تنسب إليها، فليست هي في رأيه بالتي تفكر في قتل نفسها؛ لأن مثلها يخامره الأمل دائما بأنها سوف تبرئ ساحتها في النهاية . . إلا أنه لم يبخل على "**إيلين فورتسكيو**" بهذا الافتراض، وقال لها :

– هناك احتمال لهذا على الأقل يا آنسة "**فورتسكيو**" والآن أرجو لو أمكن أن تخبريني بما دار بينكما من حديث في تلك الجلسة .

– حسنا . . كنا نتحدث في الواقع عن مسألة تخصني . . لي صديق كان قد وصل إلى هذه النواحي أخيرا، وكنت أسأل "**أديل**" إذا كانت تمانع في استضافته بالمنزل . .

– آه . . . ومن هذا الصديق؟

– هو السيد "**جيرالد رايت**" . . . ناظر مدرسة . . . إنه نزل في فندق "**جولف أوتيل**"

– أهو صديق حميم؟ هل نتوقع مثلا أن نسمع أنباء سارة؟ كان واضحا من ارتباك الفتاة وتورد وجهها أنها غارقة في حب هذا الشاب . . وقد ردت قائلة :

– إننا لم نكن مخطوبين فعلا، ولم يكن بالإمكان أن نعلن هذه الخطبة في ظروفنا الأخيرة . . . لكنه لا بأس أننا سوف نتزوج .

– تهنئتي القلبية يا آنسة . قلت إن السيد "**رايت**" يقيم في فندق "**جولف أوتيل**" منذ متى وهو في الفندق؟

– إنني أبرقت له عندما توفي أبي .

– وقد جاء في الحال . . . مفهوم . . وماذا قالت السيدة "**فورتسكيو**" عندما كلمتها في موضوع دعوته إلى البيت؟

– قالت إنه يمكنني أن أدعو أي شخص أريد .

– هل دار حديث آخر بينك وبين السيدة "**فورتسكيو**" ؟

– لا . . . لا . . . لا أظن هذا .

– وكان ذلك حوالي الساعة الخامسة والدقيقة 25، وقد وجدت السيدة "**فورتسكيو**" ميتة في الساعة السادسة إلا خمس دقائق . . ألم ترجعي إلى الغرفة في خلال فترة نصف الساعة هذه؟

– لا . .

— ماذا كنت تفعلين في هذه الفترة؟

– إنني . . . إنني خرجت للقيام بجولة . .

– إلى فندق "**جولف أوتيل**" ؟

– حسنًا . . نعم لكن "**جيرالد**" لم يكن موجودا في الفندق .

– حسنًا يا آنسة "**فورتسكيو**" هذا كل ما هناك . شكرا لك . وعندما نهضت "**إيلين**" للانصراف قال لها المفتش "**نيل**" بلهجة عرضية :

– هل يمكنك أن تذكري لي شيئا عن الطيور السوداء؟

– الطيور السوداء؟ تقصد التي في الفطيرة كما تقول الأغنية؟

– متى حدث هذا؟

– آه . . .منذ ثلاثة أو أربعة أشهر . . . وكانت هناك بعض الطيور فوق مكتب أبي أيضًا . . .وقد غضب كثيراً .

– هناك مسألة أخيرة يا آنسة "**فورتسكيو**" . . . هل تعرفين إن كانت زوجة والدك قد أعدت وصية في أي وقت؟

– ليست عندي فكرة عن هذا . . . إنني . . أظن ذلك . . . الناس يفعلون هذا عادة . . . أليس كذلك؟ جلس المفتش "**نيل**" بضع دقائق بعد انصراف "**إيلين فورتسكيو**" يحدق أمامه مفكرا . . . إن لديه الآن فعلا مادة للتفكير . . ذلك أن ما قالته "**ماري دوف**" من أنها رأت رجلا في الحديقة حوالي الساعة الرابعة والدقيقة 35 قد فتح أمامه الباب لاحتمالات جديدة، ومن الواضح جدًّا أن هذا الرجل لم يكن "**لانس فورتسكيو**"، وإن كان ميلها إلى الظن بأنه هو كان شيئًا

طبيعيا في ضوء الظروف التي شرحتها. .لم يكن "**لانس فورتسكيو**" إذن، وإنما كان رجلا في مثل هيئة وطول "**لانس**" وإذا كان هناك رجل في الحديقة في تلك الفترة المحددة، وهو رجل كان يسير متلصصا فيما يبدو، كما يدل على ذلك تسلله خلف سياج الحديقة النباتي. فمن المؤكد أن ذلك يفتح الباب إلى اتجاهات جديدة في التفكير... يضاف إلى هذا البيان الذي أدلت به "**ماري دوف**" بيانها الآخر الخاص بسماع صوت شخص يتحرك في الدور العلوي... وهذا الذي قالته له صلة بشيء آخر .. وهو قطعة الوحل الصغيرة التي عثر عليها المفتش ذاته في الغرفة الخاصة بـ"**أديل فورتسكيو**"... لقد رجع المفتش بذاكرته إلى المكتب الصغير الأنيق الموجود في تلك الغرفة والذي كان به درج سري وما هو بسري أمام المفتش إذ عثر في هذا الدرج على ثلاث رسائل كتبها "**فيفيان ديبوا**" إلى "**أديل فورتسكيو**"... ومع ذلك فإنها كانت رسائل فاترة، وحتى لو عُرضت أمام محكمة الطلاق لما دلت على نوع من الحب الأفلاطوني.. ولكن المفتش "**نيل**" بعث بالرسائل وقتها إلى "**اسكتلنديارد**" للنظر فيما إذا كان المدعي العام يستطيع أن يقيم الدعوى ضد "**أديل فورتسكيو**" أوضد "**أديل**" و"**فيفيان ديبوا**" معا، إذ كان كل شيء يشير وقتئذ إلى أن "**ريكس فورتسكيو**" قد قتل مسموماً بفعل زوجته إما وحدها أو بالتواطؤ مع عشيقها... إن الرسائل رغم أسلوبها الحذر كانت دليلا على أن "**فيفيان ديبوا**" هو عشيقها، ومع ذلك فإن المفتش "**نيل**" لم يجد في صياغتها أي دلالة على التحريض على ارتكاب الجريمة... وربما كان التحريض قد تم باتفاق شفوي، لكن "**فيفيان ديبوا**" كان أشد حرصا من أن يثبت هذا في رسائله كتابة؟

فإذا فرض أن "**أديل فورتسكيو**" و"**فيفيان ديبوا**" كانا مسؤولين عن هذه الجريمة، فما الذي يكون عليه موقفهما في هذه الحالة. لا شك في أن "**فيفيان ديبوا**" سوف يتملكه الجزع فيسعى جاهدا لاسترداد رسائله إلى "**أديل**". وهي رسائل ربما تدينه... فماذا في استطاعته أن يفعل في هذا السبيل؟ فكان من سبق الأوان أن يحاول المفتش "**نيل**" الإجابة عن هذا السؤال، ولكنه اعتزم أن يقوم

بالتحري في فندق "**جولف أوتيل**" عما إذا كان "**ديبوا**" قد لزم الفندق أو غادره في الفترة بين الساعة الرابعة والدقيقة 15 والساعة السادسة... إن "**فيفيان ديبوا**" طويل القامة أسود الشعر مثل "**لانس فورتسكيو**"...وربما تسلل عن طريق الحديقة إلى الباب الجانبي وصعد السلم، ثم ماذا بعد ذلك؟ بحث عن الرسائل ولم يجدها.. انتظر مكانه مثلا حتى خلا أمامه الجو، ثم هبط إلى قاعة المكتبة بعد انتهاء شرب الشاي ووجد "**أديل فورتسكيو**" وحدها في القاعة.. لكن هذا كله إمعان في الخيال.

إن المفتش "**نيل**" قد استجوب "**ماري دوف**" ثم "**إيلين فورتسكيو**".. ولا بد الآن من أن يعرف ماذا يمكن أن تقوله زوجة "**برسيفال فورتسكيو**".

- 15 -

وجد المفتش "**نيل**" السيدة "**برسيفال**" في غرفة الجلوس الخاصة بهاتكتب رسائل... وقد نهضت بحركة عصبية لدى دخوله قائلة:

– هل هناك أي شيء... ماذا؟

– أرجوك أن تجلسي يا سيدة "**فورتسكيو**".. هناك فقط بعض أسئلة قليلة إضافية أريد أن أسالها لك.. فجلست وقال لها:

– بودي أن أعرف منك شيئًا عن التوقيت المضبوط للأحداث.. فهمت أنك تأخرت في النزول لتناول الشاي .. والواقع أن الآنسة "**دوف**" صعدت إليك لكي تدعوك.

– نعم.. نعم إنها فعلت هذا... جاءتني وقالت إن الشاي جُهِّز والحقيقة أنني لم أنتبه إلى الوقت؛ إذ كنت مشغولة بكتابة بعض الرسائل.

– إنني فهمت أيضًا أنك كنت في الخارج للقيام بجولة. هل قلتِ هذا؟

– والواقع أنني شعرت بعد الكتابة بصداع وهكذا خرجت... و... وجلت قليلا..جلت في الحديقة فقط.

– مفهوم... إنني سألت زوجك إذا كانت السيدة "**فورتسكيو**" قد أعدت وصية خاصة بها قبل وفاتها... فقال إنه لا يظن هذا، فتُرى هل عندك أية فكرة عن ذلك؟ ولشد ما كانت دهشته عندما أومأت "**جنيفر**" برأسها في قوة قائلة:

– آه... نعم إن "**أديل**" أعدت وصية.. لقد أخبرتني بهذا.

– أحقا؟ متى ذلك؟

– منذ حوالي شهر فيما أظن. فقال المفتش "**نيل**":

– هذا شيء طريف في الواقع. فانحنت السيدة "**برسيفال**" إلى الأمام باهتمام وقد لذ لها فيما يبدو أن تمسك الآن بزمام المناقشة وقالت:

– إن "**برسيفال**" لا يعرف هذا... ولا أحد غيره يعرف... إنني عرفت بالمصادفة... فقد كنت خارجة في أحد الأيام من مكتبة الضاحية، عندما شاهدت "**أديل**" خارجة من مكتب المحامين "**أنسيل**" و"**فورال**"، بشارع "**هاي ستريت**". فقال "**نيل**":

– آه المحامين المحليين؟

– نعم... ولما سألت "**أديل**" عما كانت تفعل هناك ضحكت وقالت: «سأقول لك يا "**جنيفر**"... إنني أعد وصيتي»... فقلت لها: «ولماذا تفعلين هذا يا "**أديل**"؟ إنك لست مريضة ولا أي شيء آخر»... فقالت إنها ليست مريضة فعلا، ولكن كل إنسان لابد من أن يكتب وصيته... وقالت إنها لم تشأ أن تذهب إلى مكتب المحامي "**بلينجسبي**" في "**لندن**" لئلا يتسرب الخبر إلى الأسرة.. وأضافت قائلة لي: «لا يا "**جنيفر**"، إن وصيتي هي شيء خاص بي، وقد أعددتها بالطريقة التي تعجبني، ولن يعرف أحد عنها شيئا»... ومهما يكن فإنني طمأنتها وقلت لها إنني لن أذكر شيئا عن هذا الموضوع... ولذلك فإنه حتى "**برسيفال**" لا يعرف عنه شيئا... ألا ترى يا سيدي المفتش أن النساء ينبغي أن يتمسكن بالتضامن في هذه الأمور؟ فقال المفتش "**نيل**" بلهجة دبلوماسية:

– هذا شعور كريم منك يا سيدة "**برسيفال**" وإني أشكرك لما أبديت من

مساعدة. هناك مسألة أخرى يا سيدة "**برسيفال**"؟ هل تعرفين أي شيء عن الطيور السوداء؟ وهنا انتفضت "**جنيفر**" بعنف، حتى سقطت حقيبة يدها على الأرض، وانحنت لتتناولها..و قالت:

– الطيور السوداء؟ أي نوع من الطيور السوداء؟ كان صوتها أقرب إلى اللهث. فقال المفتش "**نيل**" بابتسامة يسيرة:

– مجرد طيور سوداء... سواء أكانت حية أم ميتة أم حتى رمزية؟ فقالت "**جنيفر برسيفال**" بحدة:

– لا أعرف ماذا تقصد، لا أعرف ما الذي تتحدث عنه؟

– إذن أنت لا تعرفين شيئا عن الطيور السوداء يا سيدة "**برسيفال**". فقالت ببطء:

– أظن أنك تقصد الطيور التي كانت في الصيف الماضي في الفطيرة... كانت مسألة سخيفة.

– ألم توضع بعض هذه الطيور في المكتبة أيضًا؟

– إنني لا أعرف من الذي كلمك عن هذه الحكاية... إن السيد "**فورتسكيو**" والد زوجي قد استاء كثيراً من هذا العمل، ولكنني لا أظن إلا أن المسألة كانت نوعا من المزاح السخيف.. وربما كان "**كرامب**" هو الفاعل؛ لأنه شخص غير متزن.. ويشرب كثيرا، وهو يميل أحيانا إلى الوقاحة... في بعض المرات خطر لي أنه ربما كان يحقد على السيد "**فورتسكيو**"... هل تظن أن هذا ممكن يا حضرة المفتش؟

– كل شيء ممكن. قال المفتش "**نيل**" هذا وانصرف.

◆◆◆◆◆

كان "**برسيفال فورتسكيو**" في "**لندن**"... ولكن المفتش "**نيل**" وجد "**لانس**" جالسا مع زوجته في قاعة المكتبة يلعبان الشطرنج.. فقال لهما معتذرا:

–ليس في نيتي أن أقطع عليكما اللعب.

– إننا نقتل الوقت فقط... أليس كذلك يا "**بات**"؟ فأومأت "**باتريشيا**" برأسها إيجابا. فقال "**نيل**":

– ربما يبدو سؤالي هذا سخيفا، لكن هل تعرف يا سيد "**لانس**" شيئا عن الطيور السوداء؟

– الطيور السوداء؟

– الطيور السوداء؟ أي نوع منها تقصد؟

– لا أقصد شيئا بالذات... كل ما هناك هو أنه ورد ذكر هذه الطيور في بعض المراحل. فقال "**لانس**" وقد تنبه فجأة:

– يا إلهي! لعلك لا تقصد المنجم الذي أطلقوا عليه اسم «منجم الطيور السوداء»؟ فقال المفتش "**نيل**" بحدة:

– «منجم الطيور السوداء»؟ ما هذا؟ فقطب "**لانس**" وجهه كمن هو في حيرة، وراح يقول:

– المشكلة يا سيدي المفتش هي أنني في الواقع لا أتذكر الكثير عن هذه المسألة.. كل ما أتذكره هو فكرة غامضة عن عملية مشبوهة من العمليات التي كان يقوم بها أبي في الماضي... كان مسرحها في "**إفريقيا**"... وأظن أن العمة "**إيفي**" واجهته مرة بهذه الحكاية... لكنني لا أتذكر شيئًا محددا عنها.

– العمة "**إيفي**"؟ أتقصد الآنسة "**رامسيوم**"؟

– نعم...

– سأذهب وأسألها. ثم أضاف المفتش "**نيل**" بلهجة الاستياء:

– إنها سيدة رهيبة يا سيد "**لانس**"... إنني أشعر وأنا معها بالعصبية.. فضحك "**لانس**" قائلا:

– نعم.. إن العمة "**إيفي**" شخصية رهيبة فعلا.. لكنها قد تساعد إذا عرفت كيف تشق الطريق إليها... خصوصا إذا كنت تتكلم عن الماضي... إن لها ذاكرة ممتازة. ثم أضاف "**لانس**" مفكرا:

– وبهذه المناسبة... إنني ذهبت لرؤيتها على إثر عودتي إلى هنا من الخارج بعد

تناولي الشاي مع الأسرة في ذلك اليوم... فكانت تتكلم عن "**جلاديس**" الوصيفة التي وجدت مقتولة وليس معنى هذا أنها كانت تعرف وقتها أن الفتاة ميتة، لكن العمة "**إيفي**" أخذت تقول إنها كانت مقتنعة جداً بأن "**جلاديس**" تعرف شيئا لم تقله للبوليس. فقال المفتش "**نيل**":

– هذا يبدو أمرا مؤكدا.. لكن المسكينة لن يقدر لها أبدا أن تقول ما كانت تعرف.

– تماما.. والظاهر أن العمة "**إيفي**" نصحت الفتاة بأن تذكر كل ما كانت تعرف.. ولكن المحزن أن الفتاة لم تعمل بالنصيحة. أومأ المفتش "**نيل**" إيجابا... وقد استعان بكل شجاعته للمواجهة الوشيكة، واقتحم قلعة الآنسة "**رامسيوم**" ولشد ما كانت دهشته عندما وجد عندها الآنسة "**ماربل**"... وبدا أن المرأتين العجوزين كانتا تتناقشان في المسائل الدينية، وهو الموضوع المفضل عند الآنسة "**رامسيوم**". ولم تلبث الآنسة "**ماربل**" أن نهضت مسرعة وقالت:

– سأذهب يا حضرة المفتش. فقال المفتش "**نيل**":

– لا لزوم لذلك يا سيدتي. فقالت الآنسة "**رامسيوم**":

– إنني طلبت من الآنسة "**ماربل**" أن تبقى عندنا فإنه لا معنى لإنفاق نقودها في فندق "**جولف أوتيل**" وهو عش للسماسرة الذين يشربون ويلعبون القمار طول الليل... الأفضل لها أن تأتي إلى هنا حيث توجد غرفة خالية مجاورة لغرفتي.. فقالت الآنسة "**ماربل**":

– هذا تفضل منك.. لكنني أظن أنه لا يصح أن أتطفل على أصحاب البيت وهم في أحزانهم. فقالت الآنسة "**رامسيوم**":

– أحزان؟ كلمة لا معنى لها. من يحزن على "**ريكس**" في هذا البيت؟ أو على "**أديل**"؟ أم أن المشكلة من ناحية البوليس؟ هل عندكم مانع يا حضرة المفتش؟

– لا مانع من جانبي يا سيدتي.. فقالت الآنسة "**ماربل**" بلهجة الامتنان:

– هذا كرم منكم، سأذهب وأتصل بالفندق تليفونيا لإلغاء الحجز الذي طلبته... وانصرفت من الغرفة.. فالتفتت الآنسة "**رامسيوم**" إلى المفتش وقالت له بحدة:

– خيرا؟ ماذا تريد؟

– أردت أن أعرف إن كان بإمكانك أن تخبريني بشيء عن "منجم الطيور السوداء"؟ وعندئذ ضحكت الآنسة "**رامسيوم**" ضحكة جافة رنانة قائلة:

– ها.. هل توصلت إلى هذا؟ فهمت التلميح الذي قلته لك في ذلك اليوم؟ لا بأس. ما الذي تريد أن تعرفه عن هذا الموضوع؟

– كل ما يمكنك أن تذكريه لي يا سيدتي...

– ليس بإمكاني أن أذكر لك شيئا كثيرا... لقد مضى زمن طويل على هذا.. ربما عشرون أو خمس وعشرون سنة... هو امتياز منجم حصل عليه زوج أختي "**ريكس**" في شرق "**إفريقيا**"، بالاشتراك مع آخر يدعى "**ماكنزي**".. إنهما ذهبا إلى هناك لتفقد المنجم معا، حيث توفي "**ماكنزي**" بالحمى... وعاد "**ريكس**" إلى هنا وقال إن المنجم لا قيمة له... لكن أسرة "**ماكنزي**" أقامت ضجة حول الموضوع.. وأصروا على أن "**ريكس**" «نصب» على "**ماكنزي**"... وفي ظني أنه فعل هذا... إنه كان مخلوقا ذكيا لا يتورع عن أي شيء. لكن ليس عندي شك في أن ما فعله كان في حدود المعاملات القانونية. إنهم لم يستطيعوا إثبات شيء ضده... وكانت السيدة "**ماكنزي**" امرأة غير متزنة... وقد جاءت إلى هنا وهددت كثيرا بالانتقام.. قالت إن "**ريكس**" قتل زوجها... لكنه كان نوعا من الكلام الفارغ... وأظن أنها نقلت إلى مصحة عقلية بعد فترة. وعندما جاءت إلى هنا سحبت خلفها طفلين صغيرين مفزوعين، وقالت إنها سوف تربي طفليها لكي ينتقما يوما ما لما حل بأبيهما... كلام فارغ وتهريج بالطبع!

– وهل تعرفين يا سيدتي ما انتهى إليه أمر أسرة "**ماكنزي**"؟

– ليست عندي فكرة ما... ولا بد من أن تعلم أن "**ريكس**" لم يقتل "**ماكنزي**" فعلا كما أظن، لكن ربما تركه يموت... كلاهما سواء أمام الله، لكنه ليس كذلك في نظر القانون... والآن خير لك أن تذهب، فليس عندي ما أقوله أكثرمن هذا ولا فائدة من السؤال والإلحاح!

- 16 -

وجد المفتش "**نيل**" المحامي "**أنسيل**" شريكا في مكتب صغير للمحاماة، وعلى استعداد للتعاون مع البوليس إلى أقصى حد... وقد قرر أنه قام فعلا بإعداد وصية للمرحومة السيدة "**أديل فورتسكيو**" فقد زارته في مكتبه منذ خمسة أسابيع وكلفته بإعداد الوصية، ولم يمانع في إتمام ما طلبته.. وقال المحامي "**أنسيل**" في هذا الصدد:

– كان من الطبيعي أنها لم ترد الذهاب إلى مكتب المحاماة الذي يتعامل معه زوجها. وكانت الوصية في حد ذاتها بسيطة... فقد أوصت "**أديل فورتسكيو**" بأن يؤول كل ما تمتلكه في حالة وفاتها إلى "**فيفيان ديبوا**". وقال المحامي وهو ينظر إلى مفتش البوليس مستطلعا:

– لكني فهمت منها أنها لم تكن لتمتلك الكثير. فهز المفتش "**نيل**" رأسه ولم يقل شيئا... كان هذا الكلام صحيحا في الوقت الذي أعدت فيه "**أديل**" وصيتها... لكن حدث بعد ذلك أن توفي "**ريكس فورتسكيو**" وورثت "**أديل**" مائة ألف جنيه... والمفروض أن هذا المبلغ بعد خصم الضرائب أصبح الآن ملكا للسيد "**فيفيان إدوار ديبوا**"!

وفي فندق "**جولف أوتيل**" وجد المفتش "**فيفيان ديبوا**" ينتظر وصوله بعصبية ظاهرة... الواقع أنه كان قد حزم حقائبه للرحيل عندما تلقى دعوة من المفتش "**نيل**" يرجوه الانتظار، وكان المفتش رقيقا مهذبا في كلمته، لكن "**ديبوا**" أيقن أنها بمثابة أمر له بالبقاء. وقد قال "**ديبوا**" للمفتش في الحال:

– أرجو أن تدرك يا حضرة المفتش أن اضطراري إلى البقاء هو شيء يضايقني... فعندي أعمال مهمة عاجلة تتطلب أن أتفرغ لها..فقال المفتش:

– لم أعرف أنك تمارس بعض الأعمال.

– كل إنسان له ما يشغله هذه الأيام...

– لا بد من أن وفاة السيدة "**فورتسكيو**" كانت صدمة شديدة بالنسبة إليك يا سيد "**ديبوا**".. كنتما صديقين حميمين، أليس كذلك؟

– بلى... كانت امرأة لطيفة... وكنا نلعب الجولف كثيرا.

– أعتقد أنك اتصلت بها تليفونيا بعد ظهر اليوم الذي توفيت فيه؟

– هل حدث هذا مني؟ إنني لا أتذكر الآن في الحقيقة...

– كان ذلك حوالي الساعة الرابعة كما أعتقد...

– نعم... أظن أنني فعلت هذا.

– ألا تتذكر يا سيد "**ديبوا**" ماذا كان موضوع المكالمة التليفونية بينكما؟

– لم تكن لها أهمية خاصة... أظن أنني سألتها عن حالها وعما إذا كانت توجد أخبار جديدة عن وفاة زوجها... أو مثل هذا الكلام التقليدي المعتاد.

– مفهوم، وبعد ذلك خرجت أنت للقيام بجولة؟

– آه.. نعم ..نعم.. إنني.. إنني فعلت هذا، في الواقع لم تكن جولة، وإنما لعبت بعض الجولف.

– لا أظن ذلك يا سيد "**ديبوا**"، إن بواب الفندق رآك تسير في الطريق المؤدي إلى "**يورتري لودج**". تلاقت عينا "**ديبوا**" بعيني المفتش،، ولم يلبث أن حولهما بعيدا، وقال:

– إنني في الحقيقة لا أتذكر يا حضرة المفتش.

– ربما ذهبت فعلا لزيارة السيدة "**فورتسكيو**"؟ فقال "**ديبوا**" بحدة:

– لا.. لا.. إنني لم أفعل هذا... إنني لم أذهب قط قرب المنزل.

– إلى أين ذهبت إذن؟

– آه... إنني... إنني سرت في الطريق حتى مشرب الحمامات الثلاث ثم قمت بدورة عائدا عن طريق الملاعب.

– هل أنت متأكد أنك لم تذهب إلى "**يورتري لودج**"؟

– كل التأكيد يا حضرة المفتش. فهز المفتش "**نيل**" رأسه قائلا:

– تكلم الآن يا سيد "**ديبوا**"! الأفضل أن تكون صريحا معي ربما كان عندك سبب معقول للذهاب هناك.

– أقرر لك أنني لم أذهب قط لرؤية السيدة "**فورتسكيو**" في ذلك اليوم.

وعندئذ نهض المفتش "**نيل**" قائما وقال بدعة:

– أظن أننا سنطلب منك أقوالا مكتوبة، وفي هذه الحالة ننصحك أن تستخدم حقك المشروع في اصطحاب أحد المحامين عند تسجيل هذه الأقوال.. وسرعان ما غاض الدم من وجه "**ديبوا**" وقال:

– لا صلة لي بهذا الأمر إطلاقا... لا صلة لي بالمرة..

– دع عنك هذا يا سيد "**ديبوا**"... إنك ذهبت إلى "**يورتري لودج**" حوالي الساعة الرابعة والنصف في ذلك اليوم... إن بعضهم كان ينظر من النافذة ورآك..

– إنني كنت فقط في الحديقة... إنني لم أدخل البيت. فقال المفتش "**نيل**":

– ألم تدخل فعلا؟ هل أنت متأكد؟ ألم تدخل من الباب الجانبي وتصعد السلم إلى غرفة جلوس السيدة "**فورتسكيو**" في الدور الأول؟ ألم تكن تبحث عن شيء في المكتب الصغير الموجود في الغرفة؟ فقال "**ديبوا**" بلهجة السخط:

– أظنك حصلت على الرسائل! إن "**أديل**" المغفلة احتفظت بها إذن؟ وقد أقسمت لي أنها أحرقتها! لكن هذه الرسائل لا تعني شيئا مما تتصوره.

– ألا تنكر يا سيد "**ديبوا**" أنك كنت صديقا حميما للسيدة "**فورتسكيو**"؟

– نعم... بالطبع لا أنكر.. وكيف يمكن أن أنكر وقد حصلت على الرسائل؟ كل ما أقوله هو أنه لا حاجة إلى قراءة أي معنى سيئ فيها... لا يخامرك الظن لحظة في أننا فكرنا بأية حال في التخلص من "**ريكس فورتسكيو**" رحماك يا ربي! إنني لست هذا النوع من الرجال!

– لكن ربما كانت هي ذلك النوع من النساء؟

– كلام فارغ، ألم تمت هي أيضا مقتولة؟

– آه... بلى.. بلى.

–حسنا، أليس من الطبيعي اعتقاد أن الشخص نفسه الذي قتل زوجها قتلها هي أيضًا؟

– قد يكون هذا بالتأكيد... لكن هناك حلولا أخرى... فمثلا – وهذا مجرد افتراض يا سيد "**ديبوا**" – من الممكن أن تكون السيدة "**فورتسكيو**" قد تخلصت

من زوجها... وبعد موته أصبحت خطرا على شخص آخر.. شخص ربما لا يكون قد ساعدها على ما فعلته، ولكنه على الأقل شجعها، وكان وجوده هو الدافع على هذا العمل، إنها في هذه الحالة قد تكون خطرا على ذلك الشخص المعين... فقال "**ديبوا**" متلعثما:

– لا.. لا يمكنك إقامه الدعوى ضدي! لا يمكنك أبداً!

– إنها أعدت وصية... وقد تركت كل ما لها لك... تركت لك كل ما تملك..

– لا أريد المال... لا أريد بنسا واحدا منه. فقال المفتش "**نيل**":

– لك الحق.. فهو ليس بالمال الكثير في الواقع.. نعم هناك بعض المجوهرات وبعض الفراء، ولكن المال الفعلي قليل فيما أعتقد.. وهنا حملق "**ديبوا**" إلى وجهه وتدلى فكه قائلا:

– لكنني كنت أعتقد أن زوجها. وتوقفت الكلمات على لسانه... فقال المفتش "**نيل**" وقد استحالت لهجته الآن إلى فولاذ:

– هل كنت تعتقد هذا فعلا يا سيد "**ديبوا**"؟ هذا شيء طريف جداً... لقد ساءلت نفسي إذا كنت عرفت شروط وصية "**ريكس فورتسكيو**"!

كانت المقابلة الثانية للمفتش "**نيل**" في فندق "**جولف أوتيل**" مع السيد "**جيرالد رايت**". كان "**جيرالد رايت**" شابا نحيلا مثقفا متعاليا... وكان فيما استرعى نظر المفتش، يماثل "**فيفيان ديبوا**" في الهيئة العامة. قال له الشاب:

– ماذا يمكن أن أؤديه لك يا سيد "**نيل**"؟

– خطر لي أنه ربماكان بإمكانك مساعدتنا بشيء من المعلومات يا سيد "**رايت**".

– معلومات... أحقا؟

– إنها متعلقة بالأحداث الأخيرة التي وقعت في "**يورتري لودج**"؟

– إنني في الواقع لا أعرف شيئا عن أحداث "**يورتري لودج**". لقد كنت غائبا في جزيرة "**مان**" عندما قتل "**ريكس فورتسكيو**"..

– إنك وصلت إلى هنا عقب الحادث مباشرة يا سيد "**رايت**"، أليس كذلك؟ أعتقد أنك تلقيت برقية من الآنسة "**إيلين فورتسكيو**".

– يبدو أن البوليس عندنا يعرف كل شيء.. نعم إن "**إيلين**" أرسلت إليّ... بالطبع جئت في الحال.

– وأظنكما سوف تتزوجان قريبا؟

– تماما.. أرجو ألا يكون عندك مانع يا سيدي المفتش؟

– هذه مسألة تخص الآنسة "**إيلين**"... فهمت أن خطبتكما ترجع إلى فترة ماضية؟ ستة أشهر أو سبعة في الواقع؟

– تماما.

– لكن السيد "**فورتسكيو**" رفض الموافقة، وأخبرك بأنه إذا تزوجت ابنته ضد رغبته فإنه لا ينوي أن يعطيها أي إيراد ما؛ وعلى أثر ذلك فسخت أنت الخطبة ورحلت.. فابتسم "**جيرالد رايت**"ابتسامة تشف عن الرثاء، وقال:

– هذا تصوير فظ للموقف أيها المفتش.. الحقيقة أنني هوجمت بسبب آرائي السياسية.. "**ريكس فورتسكيو**" كان أسوأ نموذج للرجل الرأسمالي... ومن الطبيعي أنني لا أستطيع التضحية بآرائي ومعتقداتي السياسية من أجل المال.

– لكنك لا تمانع في الاقتران بزوجة ورثت الآن خمسين ألف جنيه! فابتسم "**جيرالد رايت**" ابتسامة تنم عن ارتياح يسير قائلا:

– هذا الوصف لا يطابق الواقع يا سيدي... إن هذا المال سوف يستخدم لفائدة المجتمع.. لكن من المؤكد أنك لم تجئ إلى هنا لكي تتناقش معي في أحوالي المالية أو آرائي السياسية؟

– لا يا سيد "**رايت**"... إنما أردت أن أتكلم معك في بعض الوقائع المادية... أنت تعرف أن السيدة "**أديل فورتسكيو**" توفيت نتيجة التسمم بمادة "**السيانيد**" بعد يوم 5 تشرين الثاني (نوفمبر)... ونظرا لأنك كنت في دائرة "**يورتري لودج**" بعد ظهر ذلك اليوم، فقد خطر لي أنه يحتم أن تكون رأيت أو سمعت شيئا له علاقة بالقضية.

– وما الذي يجعلك تعتقد أنني كنت في دائرة "**يورتري لودج**" في ذلك الوقت؟

– إنك غادرت هذا الفندق في الساعة الرابعة والربع بعد ظهر ذلك اليوم يا سيد "**رايت**" .. وقد اتجهت في الطريق المؤدي إلى "**يورتري لودج**" .. ومن الطبيعي أن يفترض أنك كنت ذاهبا إلى هناك. فقال "**جيرالد رايت**" :

– إنني فكرت في هذا... ولكنني رأيت أنه لا معنى لأن أفعل ذلك... وفي الحقيقة كنت على موعد لمقابلة الآنسة "**إيلين**" في الفندق في الساعة السادسة.. فخرجت للقيام بجولة في زقاق يتفرع من الطريق الرئيسي، وعدت إلى الفندق قبيل الساعة السادسة... إن "**إيلين**" لم تحافظ على موعدها معي. وهذا طبيعي جدًا إزاء الظروف التي كانت فيها....

–إذن فإذا قال شخص ما إنه كان يطل من نافذة سلم البيت ورآك في الحديقة في الساعة الرابعة والدقيقة 35.. وتوقف المفتش دون أن يتم جملته. فرفع "**جيرالد رايت**" حاجبيه وهز رأسه قائلا:

–إن الرؤية لابد من أنها كانت سيئة جدا في تلك الفترة... في ظني أنه يصعب على أي إنسان أن يتحقق من هذا.

- 17 -

كان السيد "**بلينجسبي**" أحد الشركاء في مكتب المحاماة اللندني الكبير شخصية رقيقة مهذبة... وقد التقى به المفتش "**نيل**" في قضية سابقة فوجد منه كل معاونة ممكنة... لكن هذه المرة كان أكثر استعدادا للتعاون بسبب الضجة التي أحدثتها الجريمة الثلاثية في "**يورتري لودج**" لدى الرأي العام... قال:

– هذه قضية خارقة... إنني لم أصادف مثلها طوال حياتي في المحاماة. فقال المفتش "**نيل**" :

– بصراحة يا سيد "**بلينجسبي**"، نحن نحتاج إلى كل مساعدة في التحقيقات التي نجريها.

– بإمكانك أن تعتمد عليّ اعتمادا كليا يا سيدي العزيز.. يسعدني أن أبذل لك كل مساعدة في طاقتي...

– أولا دعني أسألك عن مدى معرفتك لشخص المرحوم "**فورتسكيو**" واطلاعك على مجريات الأحوال في شركته.

– إنني عرفت "**ريكس فورتسكيو**" معرفة جيدة.. أعني أنني عرفته لمدة زادت على ستة عشر عاما... وإن كنا مع ذلك لم نكن مكتب المحاماة الوحيد الذي كان يتعامل معه. أومأ المفتش "**نيل**" مؤيدا... لقد أدرك أن "**ريكس فورتسكيو**" كان يلجأ إلى مكتب المحاماة الكبير في المسائل القانونية المشروعة أما المسائل الأخرى فكان يسويها عن طريق مكاتب أخرى لا تتمسك بحرفية القانون...واستطرد المحامي قائلا:

– والآن ماذا تريد أن تعرف؟ إنني أخبرتك من قبل بوصيته، إن "**برسيفال فورتسكيو**" هو الوريث لبقية التركة.. فقال المفتش "**نيل**":

– إنني مهتم الآن بوصية أرملته... لقد فهمت أنها ترث بعد موته مبلغ مائة ألف جنيه. فأومأ المحامي تأييدا، وقال:

– هو مبلغ ضخم وأقول لك بيني وبينك يا سيدي المفتش إنه مبلغ كان يصعب على الشركة تدبيره...

– لم تكن الشركة إذن ذات مركز مالي وطيد؟ فقال المحامي:

– أصارحك وهذا كلام بيننا فقط، إن الشركة كانت في مركز دقيق منذ السنة ونصف السنة الماضية.

– وهل كان لهذا سبب معين؟

– نعم... كان السبب هو "**فورتسكيو**" ذاته. إن "**ريكس فورتسكيو**" كان في السنة الأخيرة يتصرف في أعمال الشركة تصرفات جنونية... ولم يستمع بأية حال إلى نصائح أحد... وقد جاءني إلى هنا ولده "**برسيفال**" طالبا أن أبذل نفوذي لدى أبيه لكي يعدل عن أسلوبه المخرب لنشاط الشركة. والظاهر أنه حاول هذا بنفسه لكن دون جدوى.. وقد فعلت ما أمكنني في هذا الشأن، لكن

"**فورتسكيو**" لم ينصت إلى صوت العقل والحكمة... والحقيقة أنه بدا شخصا مختلفا. أومأ المفتش "**نيل**" برأسه... إن هذا الكلام عزز فكرة كانت قدنبتت لديه.. وبدا له أنه الآن بسبيل فهم أسباب الاحتكاك بين "**برسيفال**" وأبيه.

واستطرد المحامي يقول:

– لكن لا فائدة من سؤالي عن وصية الزوجة... فإن مكتبنا لم يقم بإعداد أية وصية لها... فقال المفتش "**نيل**":

– أعرف هذا... إنني فقط أريد التأكد من أنها تركت شيئا هو باختصار مائة ألف جنيه.. وهنا هز المحامي رأسه بشدة قائلا:

– لا يا سيدي العزيز، أنت مخطئ هنا..

– تعني أن مبلغ المائة ألف جنيه قد ورثته حال حياتها فقط؟

– لا.. لا .. إن المبلغ ترك لها بموجب وصية زوجها دون نزاع.. لكن كان هناك شرط في الوصية يحكم هذه الهبة... يعني أن زوجة "**فورتسكيو**" لم تكن لترث هذا المبلغ إلا إذا عاشت لمدة شهر بعد وفاة زوجها... وهذا الشرط شائع هذه الأيام، بسبب ظروف السفر بالطائرات وما ينشأ عنه من مشاكل التوريث. راح المفتش "**نيل**" يحدق إلى المحامي... وقال أخيرا:

– إذن فإن "**أديل فورتسكيو**" لم تملك مائة ألف جنيه لتوريثها... ماذا يحدث لهذا المبلغ؟

– إنه يعود إلى رأس مال الشركة... أو بالأحرى يؤول إلى وارث التركة.

– ووارث التركة هو السيد "**برسيفال فورتسكيو**". فقال المحامي:

– هذا صحيح... وبالنظر إلى الحالة التي آلت إليها الشركة، أستطيع أن أقول إنه كان يحتاج إلى هذا المبلغ.

◆◆◆◆◆

قال الطبيب لصديقه المفتش "**نيل**":

– ما أغرب مطالبكم يا رجال البوليس!

– هيا يا "**بوب**" تكلم وقل كل ما عندك.

– ما دمنا وحدنا فلن تستطيع إثبات ما أقوله لك نقلا عني... لكن بوسعي أن أقول إن فكرتك سليمة تماما.. إنها أعراض المرض المسمى «جنون العظمة» إن الأسرة ارتابت في الأمر، وأرادت عرضه على طبيب... لكنه لم يقبل... إن المريض يتصرف طبقا لما وصفت تماما.. أعراض هذا المرض هي فقدان حسن التصرف والتفاخر، وتوهم العظمة، واعتقاد المريض أنه عبقرية في عالم المال... إن أي مصاب بهذا المرض سرعان ما يسبب الخراب لأقوى الشركات ما لم يكن هناك من يكبح جماحه.. نعم... بوسعي أن أقول إنه كان من حسن حظ أصدقائك أنه توفي! فقال "**نيل**":

– إنهم ليسوا أصدقائي... كلهم مجموعة غريبة متنافرة.

◆◆◆◆◆

جلس المفتش "**نيل**" في غرفة الاستقبال بمصحة "**باينوود**" الخاصة للأمراض العقلية أمام سيدة متقدمة في السن وخط الشيب شعرها..

كانت "**هيلين ماكنزي**" تناهز الثالثة والستين من عمرها، وإن بدت أصغر سنا.. كانت زرقاء العينين، شاردة النظرات إلى حد ما، تختلج شفتها العليا بين وقت وآخر.. كان في حجرها كتاب ضخم راحت تنظر فيه بينما كان المفتش يتحدث إليها.. إنه لم ينس بعد ذلك الحوار الوجيز الذي دار منذ قليل بينه وبين الدكتور "**كروسي**" مدير المصحة إذ قال له الطبيب:

– إنها نزيلة اختيارية بالطبع، وليست مريضة رسمية.

– إنها ليست من النوع الخطر إذن؟

– آه.. لا.. لا.. إنها أغلب الوقت مثلي ومثلك... وهي الآن في إحدى حالاتها الطبيعية، ولذلك يمكنك أن تتحدث إليها حديثا طبيعيا تماما. تذكر المفتش "**نيل**" هذا وهو يبدأ الآن حواره معها، فقال لها:

– كان كرما منك يا سيدتي أن تقابليني... إنني أدعى "**نيل**" وقد جئت إليك

بخصوص شخص يدعى السيد "**فورتسكيو**" توفي منذ فترة قريبة.. السيد "**ريكس فورتسكيو**"... أظنك تعرفين هذا الاسم؟ فأجابت السيدة "**ماكنزي**" وقد ركزت نظراتها في الكتاب:

– لا أعرف ما تتحدث عنه.

– السيد "**فورتسكيو**" يا سيدتي.. السيد "**ريكس فورتسكيو**". فأجابت السيدة "**ماكنزي**":

– لا... مؤكد لا أعرفه. بهت المفتش "**نيل**" قليلا ولكنه عاود الكلام قائلا:

– أظن يا سيدة "**ماكنزي**" أنك عرفت صاحب هذا الاسم منذ سنوات عديدة؟

– ليس هذا بالضبط... كان ذلك بالأمس...

– مفهوم، وأعتقد أنك زرته منذ سنوات في بيته الخاص المعروف باسم "**يورتري لودج**".. فقالت السيدة "**ماكنزي**":

– هو قصر فخم...

– نعم.. نعم.. يمكن تسميته هكذا.. إنه كان على اتصال بزوجك، وأظن أن هذا كان بخصوص منجم في "**إفريقيا**". منجم اسمه «منجم الطيور السوداء». فقالت السيدة "**ماكنزي**":

– كان المنجم يخص زوجي... هو الذي اكتشفه ومسجل باسمه... وكان يريد رأس مال لتمويله.. فذهب إلى "**ريكس فورتسكيو**" لهذا الغرض... ولو كنت أعرف لما تركته يذهب إليه.

– مفهوم.. لكن ما حدث هو أنهما ذهبا إلى "**إفريقيا**" معًا، وهناك توفي زوجك بالحمّى. فقالت السيدة "**ماكنزي**":

– لابد من أن أقرأ كتابي.

– هل تظنين يا سيدة "**ماكنزي**" أن السيد "**فورتسكيو**" نصب على زوجك بخصوص "منجم الطيور السوداء"؟ فقالت السيدة "**ماكنزي**" دون أن ترفع عينيها عن الكتاب:

– ما أغباك! تنفس المفتش "**نيل**" نفسا عميقا.. بدا له أنه لن يصل إلى نتيجة

عملية إذا استمرت الحال هكذا... لكنه مع ذلك التزم الصبر والمثابرة قائلا:

- إن أحدهم وضع طيورا ميتة على مكتب "**ريكس فورتسكيو**" قبل وفاته بحوالي شهر أو شهرين.

- هذا شيء طريف... طريف جداً.

- هل عندك أية فكرة يا سيدتي من يكون فعل هذا؟

- الأفكار لاتفيد. لا بد للإنسان من العمل الفعلي، إنني ربيتهما وفقا لهذه القاعدة... لكي يقوما بعمل فعلي.

- تقصدين طفليك؟ فأومأت برأسها في الحال وقالت:

- نعم... "**دونالد**" و"**روبي**"... كانا في التاسعة والسابعة وقتها، وقد أصبحا بلا أب ... إنني كنت أحكي لهما كل يوم... وكنت أجعلهما يحلفان كل ليلة. فانحنى المفتش "**نيل**" إلى الأمام قائلا:

- يحلفان على ماذا؟

- على قتله بالطبع..

- وهل قتلاه فعلا؟

- إن "**دونالد**" اشترك في موقعة "**دنكرك**" ولم يعد منها..... أرسلوا إليّ برقية قالوا فيها إنه توفي في الغارات الجوية.

- إنني أشاطرك مشاعرك يا سيدتي.. وماذا عن ابنتك "**روبي**"؟

- ليست لي ابنة.

- إنك تكلمت عنها الآن فقط... ابنتك "**روبي**".

- "**روبي**" نعم "**روبي**". ومالت إلى الأمام قائلة:

- هل تعرف ماذا فعلت بخصوص "**روبي**"؟

- لا يا سيدتي، ما الذي فعلته بخصوصها؟ فهمست فجأة قائلة:

- انظر إلى هنا في الكتاب. رأى "**نيل**" أن الكتاب الذي كان معها هو الكتاب المقدس. كان نسخة عتيقة وقد فتحت صفحته الأولى. فرأى فيها أسماء عديدة مدونة بخط اليد.. وقد بدا أنه إزاء نسخة عائلية من الكتاب جرى فيها اتباع العادة

القديمة الخاصة بتسجيل اسم كل مولود جديد في الأسرة في الصفحة الأولى... وقد رأى السيدة "**ماكنزي**" تشير بسبابتها النحيلة إلى الاسمين الأخيرين: "**دونالد ماكنزي**" مع تاريخ ميلاده، و"**روبي ماكنزي**" مع تاريخ ميلادها أيضاً.. ولكنه رأى خطا غليظا يطمس اسم "**روبي ماكنزي**". وقالت له:

– هل رأيت؟ إنني حذفتها من الكتاب... حذفتها إلى الأبد... إن ملك الحساب لن يجد اسمها هنا..!!

– ولماذا حذفت اسمها من الكتاب يا سيدتي؟ فنظرت إليه السيدة "**ماكنزي**" بدهاء قائلة:

– أنت تعرف السبب..

– لكنني لا أعرف ... حقيقة لا أعرف يا سيدتي.

– إنها لا تحفظ العهد.. أنت تعرف أنها لم تحفظ العهد.

– وأين ابنتك الآن يا سيدتي؟

– قلت لك... ليس لي ابنة... لا توجد الآن واحدة باسم "**روبي ماكنزي**".

– تقصدين أنها توفيت؟

– توفيت؟ وأطلقت المرأة ضحكة مفاجئة وأضافت تقول:

– يا ليتها توفيت! وتنهدت وتحركت في مقعدها متململة.. ثم قالت له بلهجة مؤدبة:

– أنا آسفة... لن يمكنني أن أتكلم معك أكثر من هذا... الوقت تأخر الآن ولابد لي من قراءة كتابي..

- 18 -

لقي "**لانس**" ترحيبا حارا في مكاتب شركة "**فورتسكيو**" عند ظهوره فجأة أمام الآنسة "**جريفيث**" وزميلاتها.. لكن سروره بهذا الاستقبال تبخر فجأة عندما وجد في مكان الآنسة "**جروسفنور**" السكرتيرة الخاصة الفاتنة امرأة في متوسط

العمر عابسة الوجه قالت له بلهجة جافة:

– اسمك وطلبك إذا سمحت؟ فقال لها بارتياب:

– أين الآنسة "**جروسفنور**" ؟

– إن الآنسة "**جروسفنور**" تركت العمل هنا منذ أسبوع... أنا أدعى السيدة "**هارد كاسل**"، السكرتيرة الخاصة للسيد "**برسيفال فورتسكيو**". فقال "**لانس**" لنفسه: « هكذا "**بيرسي**"! يتخلص من سكرتيرة شقراء فاتنة ويحل محلها وجه حصان، ترى لأي سبب؟... أهي دواعي الأمن على نفسه أم طلب الأرخص؟ » إلا أنه قال بصوته العادي:

– أنا "**لانس فورتسكيو**"... أنت لم تريني من قبل.

– آه... أنا آسفة يا سيد "**لانس**"... أظن هذه هي المرة الأولى التي تزور فيها المكتب. فقال "**لانس**" باسما:

– المرة الأولى، لكن لن تكون الأخيرة... واجتاز غرفة السكرتيرة وفتح الباب المؤدي إلى مكتب أبيه الخاص... وشد ما كانت دهشته؛ إذ لم يجد الجالس إلى المكتب هو شقيقه "**برسيفال**" وإنما المفتش "**نيل**". والواقع أن المفتش "**نيل**" رفع رأسه عن الأوراق الكثيرة التي كان يفحصها، وأومأ برأسه قائلا:

– طاب صباحك يا سيد "**لانس**".. أظنك جئت لتسلُّم أعمالك؟

– إذن فقد سمعت أنني قررت العمل في الشركة؟

– أخبرني أخوك بهذا.

– هل فعل هذا؟ وبحماسة؟ فبذل المفتش "**نيل**" جهدا لإخفاء ابتسامته وقال:

– إن الحماسة لم تكن ظاهرة. فقال "**لانس**":

– مسكين "**بيرسي**". فنظر إليه المفتش "**نيل**" باستغراب قائلا:

– هل تنوي فعلا أن تكون رجل أعمال؟

– ألا تظن أن هذا ممكن يا سيدي المفتش؟

– هذا شيء لا يبدو من طباعك يا سيد "**لانس**".

– ولِمَ لا؟ أنا ابن أبي! وجلس في مقعد ومدد ساقيه الطويلتين كعادته وهو

يبتسم لنفسه وفجأة قال :

– أنت أكثر دهاء من أخي أيها المفتش .

– في أي مجال يا سيد "**لانس**" ؟

– إنني ضحكت على أخي . . . إن "**بيرسي**" يظن فعلا أنني أنوي الاستقرار هنا وأضع أصابعي كلها في فطيرته . . . وأبدد أموال الشركة في مشروعات جنونية . . . إن هذه تجربة تجدر بالإنسان أن يقوم بها فعلا لمجردالتفكير والإثارة . لكن الحقيقة أنني لا أطيق حياة المكتب . . إنني أحب الهواء الطلق وحياة المغامرة . ثم أضاف بسرعة :

– هذا كلام بيني وبينك يا سيدي المفتش . . . أرجو ألا تكشفني أمام "**بيرسي**" ؟

– لست أظن أن هناك حاجة إلى إثارة هذه المسألة .

– لابد لي من أن أتفكه على حساب "**بيرسي**" . . . أريده أن يعرق قليلا ، أود أن أسترد اعتباري إلى حد ما .

– تقصد مسألة الشيك القديمة ؟

– ما أكثر اطلاعك على بواطن الأمور أيها المفتش !

– إنني فهمت أن فكرة الاتهام الجنائي ضدك قد استبعدت ، فإن والدك لم يقبل مثل هذا الإجراء .

– نعم . . . إنه اكتفى بطردي من هنا .

راح المفتش "**نيل**" يتفرس في وجه "**لانس**" . . . لكنه لم يكن ليفكر في الشاب الجالس أمامه ، بل كان متجها بتفكيره إلى شقيقه "**برسيفال**" الذي كان يبدو له لغزا غامضا وشخصية معقدة تحتاج إلى أن يسبر غورها بدقة . . وقد قرر الآن أن يحاول التوصل إلى هذا من خلال الحوار مع الأخ الأصغر . . . ولذا قال مستطلعا :

– يبدو أن شقيقك كان دائما . . ماذا أقول ؟ كان دائما طوع بنان والدك ؟ فأجاب "**لانس**" متأملا :

– نعم . . . ربما كان هذا ، وإن لم أكن واثقا بأن هذه هي الحقيقة . . . والمدهش مع

ذلك أن "**بيرسي**" كان دائما يصل إلى تحقيق أغراضه، دون أن يبدو أنه يسعى إلى ذلك.

– نعم... كان المفتش "**نيل**" ميالا إلى مشاطرته هذا الرأي.. ثم فتش بين الأوراق التي أمامه واستخرج رسالة دفع بها إلى "**لانس**" قائلا:

– هذه رسالة كتبتها يا سيد "**لانس**" في آب (أغسطس) الماضي، أليس كذلك؟

تناول "**لانس**" الرسالة ونظر إليها، ثم أعادها قائلا:

– بلى... كتبتها بعد عودتي إلى "**كينيا**" في الصيف الماضي... أرى الوالد قد احتفظ بها.. أين وجدتها؟ هنا في المكتب؟

– لا يا سيد "**لانس**" كانت بين أوراق والدك في "**يورتري لودج**". وراح المفتش يتأمل الرسالة التي كانت بالنص التالي:« والدي العزيز. إنني تكلمت في الموضوع مع "**بات**" وأنا موافق على اقتراحك... إن المسالة سوف تستغرق مني بعض الوقت لتسوية أموري هنا، ولنقل حتى نهاية شهر تشرين الأول (أكتوبر) أو بداية شهر تشرين الثاني (نوفمبر).. وسوف أخطرك في أقرب وقت.. أرجو أن نتعاون بصورة أفضل مما كنا في الماضي.. وعلى أية حال فإنني سوف أبذل غاية جهدي.. لن أقول الآن أكثر من هذا.. مع أطيب تمنياتي -ابنك "**لانس**".. » قال المفتش "**نيل**" أخيرا:

– إلى أين عنونت هذه الرسالة يا سيد "**لانس**"؟ إلى المكتب أم إلى المنزل في "**يورتري لودج**"؟ قطب "**لانس**" وجهه في محاولة للتذكر، ثم قال:

– من الصعب أن أتذكر بالضبط... فقد مضى عليها ثلاثة أشهر، أظن أنني عنونتها إلى المكتب هنا. وتوقف برهة قبل أن يضيف قائلا باستغراب ظاهر:

– لماذا؟ فقال المفتش "**نيل**":

– كنت أتساءل. إن والدك لم يضعها في ملف أوراقه الخاصة في المكتب... إنه أخذها معه إلى البيت وقد وجدتها في مكتبه هناك.. فتساءلت ما الذي جعله يفعل هذا؟ فضحك "**لانس**" قائلا:

– لإبعادها عن متناول "**بيرسي**" فيما أظن! فقال المفتش "**نيل**":

– نعم، يبدو أن المسألة هكذا.. كان أخوك إذن يمكنه الوصول إلى أوراق والدك الخاصة هنا؟

– تكلمنا عن الشيطان، فجاء الشيطان!! بهذه الكلمات غمغم "**لانس**" عندما فتح الباب في هذه اللحظة ودخل "**برسيفال فورتسكيو**".. ولكنه توقف فجأة عندما وقع نظره على "**لانس**" وقال عابسا:

– أهلا... أنت هنا؟ لم تخبرني بأنك ستحضر اليوم إلى هنا.

– شعرت بنوبة حماس للعمل تنتابني... وهكذا تراني الآن مستعدا لأية خدمة مفيدة.. ماذا تريد مني أن أعمل؟ فقال "**برسيفال**" باستياء:

– لا شيء حاليا... لا شيء لابد أولا من ترتيب الموقف لمعرفة نوع العمل الذي تباشره... ثم علينا أن ندبر مكتبا لك. فقال "**لانس**" باسما:

– على فكرة... لماذا تخلصت من "**جروسفنور**" الفاتنة وأتيت بدلا منها بسكرتيرة جديدة لها وجه كوجه حصان؟ فقال "**برسيفال**" بحدة:

– ماذا تعني يا "**لانس**"!

– بالتأكيد هذا تغيير من الأحسن إلى الأسوإ! إنني كنت متشوقا إلى العمل مع "**جروسفنور**" الفاتنة.... لماذا طردتها؟ هل ظننت أنها تعرف أكثر مما يجب؟

– طبعا لا... يا لها من فكرة! قال "**برسيفال**" هذا غاضبا وقد صعدت الحمرة إلى وجهه الشاحب... وما لبث أن التفت إلى المفتش "**نيل**" قائلا ببرود:

– يجب ألا تهتم بما يقوله أخي.. إن له مزاجا غريبا. ثم أضاف قائلا:

– إنني لم أقدِّر كثيرا ذكاء الآنسة "**جروسفنور**"... أما السيدة "**هارد كاسل**" فهي مؤهلة بشهادات ممتازة فضلا على اقتدارها ودقتها في العمل. وعندئذ سعل المفتش "**نيل**" وقال مخاطبا "**برسيفال**":

– أريد أن أطرح بعض الأفكار أمامك يا سيد "**برسيفال**" لقد فهمت أنه في خلال العام الماضي كانت تصرفات الوالد ومسلكه مصدر قلق متزايد لك. فقال "**برسيفال**" بلهجة قاطعة:

– إنه لم يكن على ما يرام قطعا.

...

– وقد حاولت إقناعه بعرض نفسه على طبيب ولكنك فشلت فقد رفض رفضا باتا . . .

– هو ذاك .

– هل يمكن أن أسألك عما إذا كنت قد شككت في أن به ما يسمونه « جنون العظمة » وهي حالة تنتهي بالجنون المطبق؟ فبدت الدهشة على "**برسيفال**" وقال :

– هذا هو بالضبط ما خشيته، وهو ما أثار قلقي ورغبتي في عرضه للفحص الطبي . فاستطرد المفتش يقول :

– وفي خلال ذلك وإلى أن يتيسر لك إقناع والدك بقبول الخطوة، كان في استطاعته أن يسبب لأعمال الشركة أضراراً فادحة؟

– مؤكد أنه كان يفعل هذا . فقال المفتش :

– وكان الموقف سيئا في الواقع؟

– بل كان مخيفا، لا أحد يعرف مدى الجزء الذي كنت فيه . فقال "**نيل**" :

– من وجهة نظر العمل، كان موت والدك نعمة .فقال "**برسيفال**" بحدة :

– لا أظنك تفكر في أنني أنظر إلى وفاة أبي هذه النظرة!!

– ليست المسألة هي نظرتك للموقف يا سيد "**برسيفال**" إنني أتكلم عن حقيقة واقعة . . إن والدك توفي قبل أن يتحطم مركزه المالي تماما . فقال "**برسيفال**" متبرما :

– نعم . . نعم . . في الواقع أنت على حق في هذا .

– وكان هذا الحادث من حسن حظ الأسرة كلها، إذ إنها تعتمد في حياتها على نشاط الشركة؟

– نعم . . . لكنني في الحقيقة يا سيدي المفتش لا أدري ما الذي ترمي إليه من . . . وتوقف "**برسيفال**" عن إتمام كلامه . . . فقال المفتش :

– إنني لا أرمي إلى أي شيء يا سيد "**برسيفال**" . . إنني فقط أحب أن أضع الحقائق أمامي واضحة . . . والآن هناك مسألة أخرى . . . لقد فهمت منك أنه لم يتم اتصال من أي نوع بينك وبين أخيك منذ أن غادر "**إنجلترا**" من سنوات بعيدة؟ فقال "**برسيفال**" :

– هو كذلك تماماً.

– لكنه ليس كذلك يا سيد "**برسيفال**".. فقد حدث في أثناء الربيع الماضي عندما كنت منشغلا بحالة والدك الصحية أنك كتبت إلى أخيك في "**إفريقيا**" وأخبرته بما تعانيه من قلق نتيجة تصرفات الوالد.. وقد أردت – فيما أظن – أن يتعاون أخوك معك في عرض الوالد للفحص الطبي وإجباره على التزام الراحة إذا لزم الأمر؟

– إنني.. إنني في الحقيقة لست أدري. هكذا بدا "**برسيفال**" مضطربا شديد الاضطراب، فقال المفتش:

– ألم يكن الأمر كذلك يا سيد "**برسيفال**"؟

– حسنا.. في الواقع فكرت في أن هذا أفضل.. وعلى أية حال فإن "**لانس**" كان شريكا أصغر. فنظر المفتش "**نيل**" إلى "**لانس**" فكان "**لانس**" يبتسم... فقال له المفتش:

– هل تلقيت تلك الرسالة؟ فأومأ "**لانس**" إيجابا... فقال "**نيل**":

– وماذا كان ردك عليها؟ فزادت ابتسامته وهو يجيب قائلا:

– قلت لـ "**بيرسي**" أن يدع الرجل العجوز وشأنه.. فهو أدرى من غيره بشؤونه. فعاد المفتش بنظراته المحدقة إلى "**برسيفال**" قائلا:

– هل كان ذلك هو الأسلوب الذي رد به أخوك عليك؟

– أظن.. أظن أنه كان كذلك بصورة عامة... بل ربما كان الأسلوب أشنع من هذا. فقال "**لانس**":

– والآن أصارحك يا سيدي المفتش أن ذلك كان أحد الأسباب التي جعلتني – عندما تلقيت رسالة من أبي – أعود إلى هنا لكي أتحقق من الموقف على الطبيعة.. وفي المقابلة القصيرة التي تمت بيني وبين الوالد، فإنني بصراحة لم أتبين أي خلل في أحواله.. كل ما هناك أنه كان أقرب إلى الانفعال بسرعة.. وقد بدا لي موفور القدرة على تصريف شؤونه العملية .. وعلى أية حال فإنني بعد أن عدت إلى "**إفريقيا**" و تحادثت في الأمر مع زوجتي "**بات**"، قررت أن أعود إلى هنا

نهائيا. .و. . ماذا أقول؟ وأطمئن إلى أن كل شيء سيكون على ما يرام. قال هذا وهو يرمي "**برسيفال**" بنظرة معنوية. فقال "**برسيفال**" :

– إنني أحتج بشدة على تلميحاتك، لم يكن في نيتي أن أضحي بأبي. كنت قلقا على صحته... وأعترف بأنني كنت أيضًا قلقا على... وتوقف فتولى "**لانس**" بسرعة إتمام الكلام قائلا :

– كنت قلقا أيضًا على جيبك؟ ونهض قائمًا وقد تغيرت سحنته فجأة وراح يقول :

– لا بأس يا "**بيرسي**"... إنني انتهيت مما كنت أريده.. أردت فقط أن أعصرك عندما تظاهرت بأنني سأعمل هنا.. لم يكن في نيتي أن أترك لك كل شيء لكي تسيره على هواك!.. لكن لعنة الله عليّ إذا استمررت في هذا الطريق بعد ذلك... إنني بصراحة أشعر باشمئزاز من وجودي معك في الغرفة نفسها، إنك كنت دائما شخصا قذرا وحقيرا طول حياتك!

وسأقول لك شيئا آخر.. ليس عندي دليل على ما أقول، لكن كان اعتقادي دائمًا أنك أنت الذي زورت ذلك الشيك الذي أقام الدنيا وأقعدها ، والذي أدى إلى طردي من هنا..! كان تزويرا قبيحا غير متقن يفضح نفسه بنفسه! لكن سجلي هنا كان مليئا بالسيئات إلى حد أنني لم أفلح في الدفاع عن نفسي! ثم ازداد صوت "**لانس**" ارتفاعا وحدة وهو يمضي قائلا :

– لا بأس يا "**بيرسي**".. لن أتابع هذه اللعبة الحمقاء، إني سئمت هذه المدينة وأناسها الأصاغر الذين هم من أمثالك! إننا سنقتسم الشركة وسوف أعود مع "**بات**" إلى بلاد أخرى يستطيع فيها الإنسان أن يتنفس ويتحرك بحرية! لك أن تختار الأسهم والسندات الرابحة وتعطيني أسهم الشركات الخاسرة! لكن أراهن أن بعض هذه الشركات الخاسرة سيعطيني أرباحا أفضل كثيرا من أرباح شركاتك المضمونة! إن الوالد كان داهية لا يشق له غبار.. كان يجازف، وكانت مجازفاته تعود بأرباح مضاعفة... إنني سوف أتبع طريقته وأتوقع مثل حظه... أما أنت! وتقدم "**لانس**" نحو أخيه مهددا فتراجع هذا بسرعة إلى جانب المفتش. فقال "**لانس**" في النهاية :

– لا بأس... لن ألمسك! كنت تريد إبعادي من هنا، وستنال غرضك من إبعادي! ثم أضاف وهو يتقدم إلى الباب:

– بإمكانك أن تطرح لي بامتياز "منجم الطيور السوداء" أيضًا إذا أردت.. إذا كان أبناء "**ماكنزي**" المنتقمون يسيرون في أثرنا، فإنني سوف أجرهم خلفي إلى "**إفريقيا**"! إن الانتقام بعد مضي كل هذه السنين، يبدو بعيد الاحتمال... لكن يظهر أن المفتش "**نيل**" ينظر إلى هذه المسألة نظرة جدية.. أليس كذلك يا سيدي المفتش؟ فقال "**برسيفال**":

– كلام فارغ... شيء كهذا مستحيل. فقال "**لانس**" وهو عند الباب:

– سله.. سله لماذا يقوم بكل هذه التحريات عن الطيور السوداء وعن حبوب الشعير التي وجدت في جيب الوالد! فقال المفتش "**نيل**" في دعة:

– هل تتذكر مسألة الطيور السوداء الميتة في الصيف الماضي يا سيد "**برسيفال**"؟ هناك أساس لهذه التحريات. فقال "**برسيفال**" مرة ثانية:

– كلام فارغ... لم يسمع أحد عن أسرة "**ماكنزي**" منذ سنوات... فقال "**لانس**":

– ومع ذلك أكاد أقسم أنه يوجد فرد من أسرة "**ماكنزي**" بيننا! بل أتصور أن المفتش يظن هذا أيضًا!

◆◆◆◆◆

لحق المفتش "**نيل**" بـ"**لانس**" عندما وصل الشاب إلى الشارع فابتسم "**لانس**" في شيء من التواضع قائلا:

– لم يكن في نيتي أن أفعل هذا.. لكنني فقدت أعصابي فجأة.. على كل حال كان لا بد من أن يحدث هذا قبل مضي وقت طويل... إني سأقابل "**بات**" في فندق "**سافوي**"... هل تسير في الاتجاه نفسه يا سيدي المفتش؟

– لا.. إنني عائد إلى "**يورتري لودج**" لكن هناك شيئًا أريد أن أسألك عنه يا سيد "**لانس**".

– خيرا؟

– عندما دخلت إلى مكتب والدك ورأيتني هناك بدت عليك الدهشة فما السبب؟

– لأنني لم أتوقع أن أراك.. كنت أظن أنني سأجد "**برسيفال**" في المكتب.. لماذا؟

– مجرد تساؤل عن بعض أشياء صغيرة.. هذا كل ما هناك يا سيد "**لانس**"!

- 19 -

عندما وصل المفتش "**نيل**" إلى "**يورتري لودج**" كان قد استقر على خطة معينة. فاستدعى إليه مساعده "**هاي**" وسأله:

– أين تلك السيدة المسنة؟

– الآنسة "**ماربل**"؟ إنها ما زالت هنا.. لقد نشأت صداقة قوية بينها وبين السيدة العجوز التي في الطابق العلوي.

– وأين هي الآن؟ أريد أن أراها.. وبعد دقائق جاءت الآنسة "**ماربل**" وهي موردة الوجه لاهثة الأنفاس.. وقالت:

– هل أردت أن تراني أيها المفتش؟ أرجو ألا أكون جعلتك تنتظر.. إن السيد "**هاي**" لم يتمكن من العثور عليّ أول الأمر.. لأنني كنت في المطبخ أتكلم مع السيدة "**كرامب**" كنت أهنئها على الفطائر الرائعة التي تصنعها.. إن أحسن طريق إلى قلب الطاهية هو امتداح عملها. فقال المفتش "**نيل**":

– إنك في الحقيقة أردت أن تتحدثي إليها بخصوص "**جلاديس مارتن**". فأومأت الآنسة "**ماربل**" إيجابا قائلة:

– نعم... "**جلاديس**".. في الواقع إن السيدة "**كرامب**" كان بإمكانها أن تقول لي الكثير عن الفتاة لا فيما يتعلق بالجريمة.. لست أعني هذا ولكن عن روحها المعنوية في الفترة الأخيرة، والكلام الغريب الذي كانت تقوله. فقال المفتش "**نيل**":

– هل وجدت في هذا ما يساعدك؟ فأجابت الآنسة "**ماربل**" :

– أظن... ولا أظن. ولم يلبث المفتش "**نيل**" أن قال لها فجأة:

– اسمعي يا آنسة "**ماربل**" ... أريد أن أتكلم معك جديا.

– كلي آذان مصغية يا سيدي المفتش.

– أنت وأنا كلانا يمثل جانبا مختلفا في الموقف، إلى حد ما. وأعترف يا آنسة "**ماربل**" بأنني سمعت عنك في "**اسكتلنديارد**" وعن مقدرتك في حل القضايا الغامضة. وأردف المفتش باسما:

– يبدو أنهم هناك في إدارة المباحث الجنائية يعرفونك. فقالت الآنسة "**ماربل**" بلهجة أقرب إلى الارتباك:

– لست أدري كيف أصور موقفي... ولكنني كثيرا ما أجد نفسي متورطة في مسائل لا تعنيني بالمرة... أعني في جرائم القتل، والأحداث الغامضة الغريبة. فقال المفتش "**نيل**" :

– إنك أصبحت مشهورة في هذا المجال... والآن أعود إلى الكلام الذي بدأته وهو أننا نمثل وجهتي نظر متعارضتين بل يجوز لي أن أقول إن إحدى وجهتي النظر تمثل العقل والثانية تمثل الجنون.. فمالت الآنسة "**ماربل**" برأسها إلى جانب قائلة:

– ترى ما الذي تقصده حقا بهذا الكلام يا سيدي المفتش؟

– حسنا يا آنسة "**ماربل**" هناك نظرة عاقلة ينظر بها الإنسان إلى الأمور... إن الجريمة الأولى يستفيد منها أناس معينون.. بل أقول إن المستفيد هو شخص واحد على وجه الخصوص. والجريمة الثانية يستفيد منها الشخص نفسه...والجريمة الثالثة هي التي يمكن وصفها بأنها ارتكبت للأمن والسلامة. فقالت الآنسة "**ماربل**" :

– لكن أية جريمة من الجرائم الثلاث يمكن أن نقول إنها الجريمة الثالثة...؟ وجهت الآنسة "**ماربل**" هذا السؤال إلى المفتش "**نيل**" وهي تسدد إليه من عينيها الزرقاوين اللامعتين نظرة كلها دهاء. فأومأ المفتش قائلا:

– نعم.. لعلك على حق في هذه النقطة.. الواقع أنني عندما كنت أتكلم مع

مدير المباحث الجنائية عن هذه الجرائم منذ أيام، بدا لي في بعض ما قاله شيء أقرب إلى الاختلال.. والحق أنني كنت وقتها أفكر في حكاية أغنية دور الحضانة.. «الملك في بيت المال»، و«الملكة في صالونها»، و« الوصيفة التي تنشر الغسيل».. فقالت الآنسة "**ماربل**" :

– بالضبط.. هذا هو التسلسل.. لكن الواقع أن "**جلاديس**" لا بد من أن تكون قتلت قبل مقتل السيدة "**فورتسكيو**"... أليس كذلك؟

– هذا ما أظن.. بل هذا ما أؤكده.. إن جثتها لم تكتشف إلا في وقت متأخر في تلك الليلة، بالطبع كان من الصعب وقتها الجزم بالفترة التي ظلت فيها ميتة... ولكنني شخصيا أظن أنها قد قتلت حوالي الساعة الخامسة؛ لأنه إذا لم يكن هذا... فقاطعته الآنسة "**ماربل**" قائلة :

– لأنه إذا لم يكن هذا لأخذت بالتأكيد الصينية الثانية إلى قاعة المكتبة؟

– تماما.. إنها أخذت صينية الشاي الأولى إلى القاعة ثم جاءت بالصينية الثانية وبها مأكولات الشاي إلى الصالة، وعندئذ حدث شيء ما.. لابد من أنها رأت شيئا أو سمعت شيئا... والسؤال هو ماذا كان ذلك الشيء؟... قد يكون السيد "**ديبوا**" نازلا على السلم من غرفة السيدة "**فورتسكيو**"... وقد يكون الشاب "**جيرالد رايت**" صديق "**إيلين**" داخلا عن طريق الباب الجانبي... وسواء أكان هذا أم ذاك، فإنه استدرجها بعيدا عن صينية مأكولات الشاي إلى الحديقة... فإذا كان هذا هو ما حدث فلست أرى أي احتمال لحدوث موتها متأخرا عن هذه الفترة.. فقد كان الطقس باردا في الخارج، ولم تكن مرتدية سوى ثوب العمل الخفيف. فقالت الآنسة "**ماربل**" :

– بالطبع أنت مصيب في هذا تماما... أريد أن أقول إن المسألة لم تكن مسألة «الوصيفة التي تنشر الغسيل في الحديقة» كما جاء في الأغنية.. فلا يمكن أن "**جلاديس**" كانت تنشر الغسيل في تلك الفترة المسائية، ولا يمكن أن تخرج من أجل الغسيل دون ارتداء معطف... كانت هذه الحكاية من نوع التغطية أو التخفي كما في الحرب، مثل حكاية مشبك الغسيل، وذلك بقصد الحبكة وإيجاد التطابق

مع الأغنية.. قال المفتش "**نيل**":

– تماما هذا هو عنصر الجنون في القضية... هذا هو السبب الذي يجعلني لا أنظر إلى القضية بالعين نفسها التي تنظرين بها... إنني لا أستطيع بحال أن أبتلع حكاية «أغنية دور الحضانة» هذه!

– لكنها تنطبق على القضية يا حضرة المفتش... لا بد من أن توافق على هذا التطابق...فقال المفتش "**نيل**" بضيق:

– نعم تنطبق... ولكن على الرغم من ذلك فإن التسلسل خاطئ، أعني أن الأغنية توحي بصفة قاطعة أن الوصيفة كانت القتيل الثالث... لكننا نعرف أن «الملكة» كانت هي القتيل الثالث. إن "**أديل فورتسكيو**" لم تقتل إلا فيما بين الساعة الخامسة والدقيقة 25 والسادسة إلا 5 دقائق... وقبل هذه الفترة كانت "**جلاديس**" مقتولة فعلا .قالت الآنسة "**ماربل**":

– وهذا كله مختل! أليس كذلك..؟مختل بالنسبة إلى «أغنية دور الحضانة» ألا تريد أن نقول هذا؟ فهز المفتش "**نيل**" كتفيه قائلا:

– إن الجرائم الثلاث تؤكد الأغنية بصفة عامة فيما أظن وهذا هو كل ما هناك... ومع ذلك أراني الآن أتكلم وكأنني في صفك... سأتولى الآن شرح وجهة نظري في القضية يا آنسة "**ماربل**".. سوف أستبعد حكاية الطيور السوداء وحبوب الشعير وما إلى ذلك.. إنني سأتكلم بمنطق الحقائق العقلية والفكر السليم مستنداً إلى الدوافع التي تدفع من لهم عقل إلى ارتكاب الجرائم... أولاً هناك موت "**ريكس فورتسكيو**" و من يستفيد من موته؟ حسنا. إن موته يستفيد منه عدد من الناس، لكن أكثرهم استفادة هو ابنه "**برسيفال**".. لكن "**برسيفال**" لم يكن في قصر "**يورتري لودج**" في صباح ذلك اليوم الذي وقعت فيه الجريمة ولم يكن بإمكانه وضع السم في قهوة أبيه أو أي شيء آخر أكله الأب في طعام الإفطار أو هذا ما ظنناه أولاً .فقالت الآنسة "**ماربل**" وقد لمعت عيناها:

– آه! إذن لابد من أنه كانت هناك طريقة للوصول إلى هذا الغرض، أليس كذلك؟ الحقيقة أنني فكرت في هذه النقطة كثيرا... لكن ليس هناك بالطبع دليل

أو قرينة لإثباتها. فقال المفتش "**نيل**":

- ليس هناك مانع من أن أوضح لك ما تريدين... إن سم "**التاكسين**" قد أضيف إلى علبة مربى نارنج جديدة، وقد وضعت هذه العلبة على مائدة الإفطار. حيث تناول السيد "**فورتسكيو**" الطبقة السطحية منها... وفيما بعد ألقيت العلبة بين الشجيرات ووضعت مكانها في الكرار علبة مماثلة بعد أخذ مقدار الكمية المأخوذة من العلبة الأولى.. إننا اكتشفنا العلبة الملقاة بين الشجيرات، وجاءتني منذ فترة قريبة نتيجة التحليل وهي تبين وجود "**التاكسين**" بصفة قاطعة. فغمغمت السيدة "**ماربل**" قائلة:

- إذن هذا ما حدث! .. وجدت بمثل هذه البساطة والسهولة! فاستطرد المفتش "**نيل**" قائلا:

- إن شركة "**فورتسكيو**" كانت في حالة سيئة.. ولو اضطرت إلى دفع مبلغ مائة ألف جنيه إلى "**أديل فورتسكيو**" بموجب وصية زوجها لكان لابد لها من الإفلاس.. إن السيدة "**فورتسكيو**" لو بقيت على قيد الحياة بعد وفاة زوجها مدة شهر لوجب أن يدفع هذا المبلغ إليها.. وفي هذه الحالة ما كانت لتأخذها رحمة أو أي شعور من هذا القبيل حيال الشركة ومصاعبها المالية... لكنها لم تبق على قيد الحياة شهرا بعد وفاة زوجها.. لقد توفيت ونتيجة لوفاتها فإن المستفيد هو الوارث لبقية تركة "**ريكس فورتسكيو**"... وبعبارة أخرى هو "**برسيفال فورتسكيو**" مرة أخرى. ثم استطرد المفتش "**نيل**" يقول بمرارة:

- دائما "**برسيفال فورتسكيو**" وعلى الرغم من أنه كان ممكنا له العبث بعلبة المربى، فلم يكن بإمكانه تسميم زوجة أبيه ولا خنق "**جلاديس**".. فإنه طبقا لشهادة سكرتيرته كان في مكتبه في المدينة في الساعة الخامسة في ذلك اليوم، وهو لم يعد إلى هنا إلا حوالي الساعة السابعة. فقالت الآنسة "**ماربل**":

- وهذا يجعل الموقف بالغ الصعوبة، أليس كذلك؟ فقال المفتش "**نيل**" باكتئاب:

- بل يجعله مستحيلا.. وبعبارة أخرى فإن هذا يخرج "**برسيفال**" من دائرة الاتهام. ولم يلبث المفتش "**نيل**" أن تخلى عن كل تحفظ وتبصر ومضى يقول بمرارة:

– حيثما اتجهت. وأينما ذهبت، أصطدم دائما بالشخص نفسه: "**برسيفال فورتسكيو**"! ومع ذلك لا يمكن أن يكون القاتل هو "**برسيفال فورتسكيو**". ثم انحاز المفتش إلى بعض الهدوء وقال أخيرا:

– هناك بالطبع احتمالات أخرى... هناك أشخاص آخرون كانت لهم دوافع قوية جدا. فقالت الآنسة "**ماربل**" بحدة:

– السيد "**ديبوا**" بالطبع... وذلك الشاب المدعو "**جيرالد رايت**" إنني أتفق معك في هذا تماما يا حضرة المفتش.. حيثما يكون هناك مجال للاستفادة فلابد للإنسان من تغليب سوء الظن... إن أشد ما ينبغي تحاشيه هو المبالغة في حسن الظن. فلم يتمالك المفتش إلا أن ابتسم رغمًا عنه، قائلا:

– والأخذ دائما بأسوإ الفروض؟ فقالت الآنسة "**ماربل**" بحرارة:

– آه. نعم.. إنني آخذ دائما بالأسوإ. ومما يبعث على الأسف أن الإنسان عادة يجد أنه كان على حق في هذا. فقال المفتش "**نيل**":

– لابأس... لنأخذ إذن بالأسوإ... إن "**ديبوا**" يمكن أن يكون هو الفاعل... و"**جيرالد رايت**" يمكن أن يكون الفاعل ،هذا إذا عمل بالتحالف مع "**إيلين فورتسكيو**" وتولت هي العبث بعلبة المربى. والسيدة "**برسيفال**" يمكن أن تكون الفاعلة؛ لأنها كانت في مسرح الوقائع... لكن لا أحد ممن ذكرتهم يمكن أن يكون له ارتباط بالجانب الجنوني في القضية... لا ارتباط لواحد من هؤلاء بموضوع الطيور السوداء والجيب المملوء بحبوب الشعير... هذه هي نظريتك أنت، وقد تكونين على صواب.. لكن إذا صح هذا، فإنه ينتهي بنا إلى شخص واحد، أليس كذلك؟ إن السيدة "**ماكنزي**" موجودة في مصحة عقلية، وهي في المصحة منذ سنوات طويلة... ولهذا لم يتيسر لها العبث بعلبة مربى النارنج أو وضع سم "**السيانيد**" في شاي الساعة الخامسة في قاعة المكتبة...وابنها "**دونالد**" قد قتل في موقعة "**دنكرك**" وهنا تبقى الابنة "**روبي ماكنزي**"... وإذا كانت نظريتك صحيحة. وإذا كانت سلسلة هذه الجرائم كلها قد ترتبت على مسألة "منجم الطيور السوداء" فلا بد من أن تكون "**روبي ماكنزي**" موجودة في هذا البيت... هناك شخص واحد

فقط يمكن أن يكون هو "**روبي ماكنزي**". فقالت الآنسة "**ماربل**":

– أظنك تقرر أحكاماً قاطعة أكثر من اللازم. فلم يحفل بها المفتش "**نيل**" وقال لها بلهجة حاسمة:

– هو شخص واحد فقط! ونهض وغادر الغرفة.

◆◆◆◆◆

جلست "**ماري دوف**" الوصيفة منهمكة في مراجعة فواتيرحسابات المنزل عندما دخل عليها المفتش "**نيل**" فقالت له معتذرة وهي تشير إلى مقعد:

– تفضل بالجلوس يا حضرة المفتش... هلا أمهلتني لحظة لإتمام مراجعة الفواتير؟

جلس المفتش يراقبها صامتا وقد راقه هدوء أعصابها وشخصيتها القوية... وحاول أن يستشف في ملامحها أية مشابهة لتلك المرأة التي تحدث إليها في مصحة "**باينوود**" العقلية... لقد بدا له لون البشرة متقاربا لكنه لم يتوسم مشابهة عضوية مؤكدة. ولم تلبث "**ماري دوف**" أن رفعت رأسها قائلة:

– خيرا يا حضرة المفتش... ما الخدمة التي يمكن أن أؤديها؟ فقال المفتش "**نيل**" بهدوء:

– تعرفين يا آنسة "**دوف**" أن هناك جوانب غريبة في هذه القضية... وأول شيء فيها مسألة حبوب الشعير التي وجدت في جيب السيد "**فورتسكيو**". فقالت الآنسة "**دوف**":

– هذا شيء غريب في الواقع... لكن لا يمكنني أن أجد تفسيرا له.

–ثم هنالك تلك الحادثة الغريبة الخاصة بالطيور السوداء، أولا تلك الطيور السوداء الأربعة التي وضعت فوق مكتب السيد "**فورتسكيو**" في الصيف الماضي... ثم الطيور السوداء التي وضعت في الفطيرة بدلا من اللحم الذي يحشوها. أظن أنك كنت هنا يا آنسة "**دوف**" وقت وقوع هاتين الحادثتين؟

– نعم.. وإنني أتذكر الآن... كان لهما تأثير مزعج وبدوتا وقتها أنه لا معنى لهما.

– ربما لم تكن الحادثتان بلا معنى... ماذا تعرفين يا آنسة "**دوف**" عن « منجم الطيور السوداء »؟

– لا أظن أنني سمعت أبدا عن « منجم الطيور السوداء » هذا.

– قلت لي إن اسمك "**ماري دوف**".. فهل هذا هو اسمك الحقيقي؟ رفعت الآنسة "**دوف**" حاجبيها... كان المفتش شبه واثق بأنه لمح في عينيها نظرة حذر... إلا أنها قالت:

– يا له من سؤال عجيب أيها المفتش! هل تقصد أن تقول إن اسمي ليس "**ماري دوف**"؟

– هذا هو بالضبط ما أقصده... أريد أن أقول إن اسمك هو "**روبي ماكنزي**".

راحت تحدق إليه دون أن ينم وجهها عن احتجاج أو دهشة وبدا للمفتش أن في ملامحها لونا من التصميم والعزم... وبعد برهة قالت بهدوء وفي صوت بلا نبرات:

– ماذا تنتظر مني أن أقول؟

– أرجو أن تجيبي عن سؤالي... هل اسمك هو "**روبي ماكنزي**"؟

– قلت لك إن اسمي هو "**ماري دوف**".

– نعم.. لكن هل عندك إثبات لهذا؟

– ما الذي تريد أن تراه... شهادة ميلادي؟

– قد يكون لهذا فائدته، أو لا يكون... ربما كان في حيازتك شهادة ميلاد باسم "**ماري دوف**". "**ماري دوف**" هذه قد تكون صديقة لك... أو تكون شخصية قد توفيت. فقالت وهي تبتسم:

– ولمَ لا... هناك احتمالات كثيرة! هي فعلا مشكلة عويصة تواجهك يا حضرة المفتش!فقال المفتش "**نيل**":

– ربما يمكنهم معرفتك في مصحة "**باينوود**"؟ فرفعت حاجبيها قائلة:

– مصحة "**باينوود**" ما هذه المصحة، وأين هي؟

– أظنك تعرفين هذا جيدا يا آنسة "**دوف**".

- أؤكد لك أنني أجهل هذا تماما!

- وهل تنكرين بصفة قاطعة أنك "**روبي ماكنزي**"؟

- إنني لا أحب الإنكار. أظن يا حضرة المفتش أن عليك أنت أن تثبت أنني "**روبي ماكنزي**" هذه. مهما يكن من أمرها! ثم اختتمت وقد تجلى التحدي في نظراتها:

- نعم عليك يا حضرة المفتش أن تثبت هذا! أثبت أنني "**روبي ماكنزي**" إذا استطعت!

- 20 -

ما إن نزل المفتش "**نيل**" من الدور العلوي حتى جاءه مساعده "**هاي**" قائلا:

- إن السيدة المسنة تبحث عنك يا سيدي. الظاهر أن عندها كلاما جديدا تريد أن تقوله لك. فقال المفتش بلهجة أقرب إلى السخط:

- لقد شبعنا كلاما في القضية، ولا بد أن نركز جهودنا في النتائج... على فكرة... راجع تلك الشهادات التي قدمتها لنا الآنسة "**دوف**" عن خدماتها السابقة وتحقق منها... ثم قم بالتحري عن هذه النقطة وأبلغني بالنتيجة في أقرب وقت. ودون المفتش سطورا قليلة في ورقة دفع بها إلى مساعده الذي قال إنه سيتولاها على الفور. بينما كان المفتش "**نيل**" يمر بقاعة المكتبة إذ سمع غمغمة أصوات، فأطل برأسه... وسواء أكانت الآنسة "**ماربل**" تبحث عنه أم لا فإنها كانت منهمكة في الحديث مع السيدة "**برسيفال**" بينما كانت إبرتها لا تنقطع عن الحركة في قطعة التريكو التي بين يديها... وقد استرعى سمعه في وسط الحديث هذه الكلمات التي كانت تقولها الآنسة "**ماربل**":

- كنت في الواقع أظن أنك مارست التمريض كحرفة... من المؤكد أنه عمل نبيل. انسحب المفتش "**نيل**" بهدوء... لقد لاحظته الآنسة "**ماربل**" ولكنها لم تقطع حديثها، بل مضت تقول لمحدثتها برقة:

– أنا متأكدة أنك يا عزيزتي كنت ممرضة ممتازة.. وأظن أنك جئت إلى هنا لتمريض السيد "**برسيفال**"... فكان هذا بداية قصة حبك... أليس كذلك؟ فأجابت "**جنيفر**":

– بلى... بلى... هكذا كانت البداية. ومع أن لهجة "**جنيفر**" لم تكن مشجعة لاستمرار الحديث إلا أن الآنسة "**ماربل**" لم تحفل بهذا ومضت تقول:

– مفهوم، وقد سمعت أنه كانت هناك ممرضة أخرى قبلك.. ثم أبعدوها... بسبب الإهمال فيما أعتقد؟ فقالت "**جنيفر**":

– لا أظن أن هذا كان السبب.. الظاهر أن والدها كان مريضا واشتد عليه المرض، هكذا جئت أنا لكي أخلفها. فقالت الآنسة "**ماربل**":

– مفهوم... وقد وقعت في الحب وكان ما كان! نعم حكاية لطيفة في الواقع.. لطيفة جدا. فقالت السيدة "**برسيفال**":

– لست متأكدة من هذا... إنني كثيراً ما تمنيت أن أعود إلى عنابر المستشفى من جديد.

– نعم... نعم... مفهوم. كم تحبين مهنتك الإنسانية.

– لم يكن هذا تقديري وقتها... ولكن الحياة هنا مملة... تمر الأيام ولا عمل لي.. "**برسيفال**" مشغول دائما بأعماله. فهزت الآنسة "**ماربل**" رأسها قائلة:

– لابد للرجال من العمل الشاق هذه الأيام. يبدو أنهم لا يجدون وقتا للترويح والاستجمام، وبصرف النظر عن المكاسب الكبيرة التي يحققونها.

– نعم.. وهذا ما يجعل حياة زوجة مثلي راكدة موحشة أحيانا.. كثيرا ما تمنيت لو أنني لم أجئ إلى هنا... ليتني لم أفعل ما فعلت!

– ليتك لم تفعلي ماذا يا عزيزتي؟

– ليتني لم أتزوج "**برسيفال**".

– آه.. لا بأس! وتنهدت "**جنيفر**" فجأة وقالت:

– دعينا من الكلام في هذا الموضوع. فلبت الآنسة "**ماربل**" طلبها، وغيرت موضوع الحديث إلى آخر أزياء الفساتين في "**باريس**"!

◆◆◆◆◆

قالت الآنسة "**ماربل**" للمفتش "**نيل**" بعد أن دخلت غرفة المكتب حيث كان يجلس في انتظارها:

– كان جميلا منك أنك لم تقاطعني منذ برهة.. فقد كانت هناك نقط معينة أردت استجلاءها استكمالا للبحث. ثم أضافت معاتبة:

– إننا لم نتم الحديث الذي بدأناه منذ قليل.

– أنا في أشد الأسف. أرجو ألا تتضايقي من مسلكي، فعندما تقابلنا انفردت بالحديث وحدي.

– هذا تلطف منك... والحقيقة أنني لم أكن وقتها على استعداد لوضع كل أوراقي على المائدة... أعني أنني لا أحب أن أوجه أي اتهام ما لم أكن متأكدة منه كل التأكد.. وأنا الآن قد تأكدت.

– تأكدت من أي شيء يا آنسة "**ماربل**"؟

– تأكدت قطعا ممن قتل السيد "**فورتسكيو**"... أقصد أن أقول إن ما قلت عن مربى النارنج حسم الأمر نهائيا... فقد تبينت من هذا من هو الفاعل، و كيف فعل، وأن ذلك تم في حدود المدركات العقلية.

– إنني لا أعرف حتى الآن بالضبط يا آنسة "**ماربل**" ما مدلول هذا الكلام؟

– لا بأس... يحسن بنا أن نبدأ الحكاية من جديد... أعني إذا كان وقتك يسمح بذلك... وبودي أن أشرح لك وجهة نظري بالتفصيل... إنني تبادلت أحاديث كثيرة مع الناس هنا... مع آنسة "**رامسيوم**" العجوز، ومع السيدة "**كرامب**"، ومع زوجها... إن هذا الشخص كذاب بالطبع، لكن إذا عرفت أن شخصا ما يكذب فبوسعك أيضًا أن تستخلص منه الحقيقة... وكان الهدف من هذا هو أن أعرف بدقة كل ما يتصل بموضوع المكالمات التليفونية والجوارب النايلون إلى غير ذلك.

– أرجو أن تحدثيني بكل ما عندك يا آنسة "**ماربل**"... لكن ابدئي أولا من البداية. فقالت الآنسة "**ماربل**":

– نعم بالطبع.. والبداية هي "**جلاديس**"... أقصد أن أقول إنني جئت إلى هنا

بسبب "**جلاديس**"... وقد تفضلت وسمحت لي بتفتيش وفحص كل حاجاتها... وقد كان ذلك بالإضافة إلى الجوارب النايلون والمكالمات التليفونية وغيرها هوالذي جعل كل شيء يتضح أمامي تماماً.. أعني فيما يختص بالسيد "**فورتسكيو**" وسم «**التاكسين**». فقال المفتش "**نيل**":

– هل عندك نظرية بخصوص من وضع «**التاكسين**» في المربى التي أكلها السيد "**فورتسكيو**"؟ فقالت الآنسة "**ماربل**":

– إنها ليست نظرية فرضية... لقد عرفت الحقيقة. فنظر إليها المفتش مشدوها... فقالت:

– كانت "**جلاديس**" بالطبع هي التي وضعت سم «**التاكسين**».

- 21 -

راح المفتش "**نيل**" يحدق إلى الآنسة "**ماربل**".. وما لبث أن هز رأسه ببطء وقال وهو لا يصدق:

– هل تقولين إن "**جلاديس مارتن**" قتلت "**ريكس فورتسكيو**" عمدا؟ أنا آسف يا آنسة "**ماربل**"... لكنني ببساطة لا أصدق هذا! فقالت الآنسة "**ماربل**":

– لا.. بالطبع لم يكن قصدها أن تقتله.... ولكنها مع ذلك فعلت هذا... وقتلته... أنت نفسك قلت إنها كانت عصبية ومضطربة عندما قمت باستجوابها.. وإنها بدت كمن ارتكب ذنبا.

– نعم... لكن ليس ارتكاب جريمة القتل!

– آه... لا... أنا متفقة معك في هذا... لم يكن قصدها كما قلت لك أن تقتل أي أحد.. ولكنها وضعت «**التاكسين**» في مربى النارنج وهي بالطبع لم تكن لتظن أنه سم. فقال المفتش "**نيل**" وما زال صوته ينم عن عدم تصديقه لما يسمع:

– وماذا كانت تظنه؟ فراحت الآنسة "**ماربل**" تقول:

– أتصور أنها ظنته «عقار الحقيقة».. من الأشياء الطريفة والمفيدة لنا

كمعلومات عامة، تلك القصاصات التي تقطعها الفتيات من الجرائد ويحتفظن بها... إنها العمليات نفسها التي تتكرر على مدار الأجيال والعصور... ووصفات التجميل... لاجتذاب الرجل الذي تحبه المرأة! وكذلك ما إلى هذه الوصفات من فنون السحر والأحجبة والأفاعيل العجيبة! في عصرنا الحاضر تحمل هذه الأشياء بطاقة العلم، ويجري تصنيفها تحت هذا الباب... لا أحد الآن يعتقد في السحرة... ولا أحد يؤمن بأن في قدرة أي أحد أن يتقدم ويلوح بعصاه السحرية ويحول الإنسان إلى ضفدعة...! لكن إذا أنت قرأت في الصحف أن العلماء إذا قاموا بحقنك بغدد معينة ففي مقدورهم تغيير أنسجتك الحيوية وتنمية خصائص الضفدعة في ذاتك فكل إنسان على استعداد لتصديق هذا... وبعد أن قرأت "**جلاديس**" في الجرائد عن «عقار الحقيقة»، فإنها بالطبع صدقت هذا تماما عندما أخبرها صاحبنا ما هو هذا العقار. فقال المفتش "**نيل**":

– من «صاحبنا» هذا؟ فأجابت الآنسة "**ماربل**":

– هو "**ألبرت إيفانز**".. وليس معنى ذلك بالطبع أن هذا هو اسمه فعلا... ولكنه على أي حال التقى بها في الصيف الماضي في أحد معسكرات الإجازات، وأخذ يغازلها ويتحبب إليها.. وأتصور أنه أخبرها بقصة ما عن ظلم أو اضطهاد وقع عليه، أو شيء من هذا القبيل.. وعلى أية حال فإن القصد كان هو حمل "**ريكس فورتسكيو**" على قول الحقيقة والاعتراف بما صدر عنه من ظلم والعمل على إزالة أسبابه... وبالطبع لست أعلم هذا يقينا يا سيدي المفتش... ولكنني متأكدة أن هذا ما حصل.. وقد عمل صاحبنا على إلحاقها بالخدمة في هذا البيت.. ومن السهل هذه الأيام بسبب أزمة الخدم أن يحصل الإنسان على العمل في البيت الذي يريده... وبعد ذلك اتفقا على موعد معين تذكر أنه كتب لها في البطاقة المصورة الأخيرة هذه العبارة «تذكري موعدنا».. كان ذلك هو اليوم العظيم الذي يعملان من أجله.. وكان على "**جلاديس**" أن تضع العقار الذي أعطاه لها في أعلى مربى النارنج، حتى يأكله السيد "**فورتسكيو**" في طعام الإفطار، كان عليها أن تضع حبوب الشعير في جيبه... ولست أعرف ما القصة التي قالها تفسيرا لمسألة

حبوب الشعير، ولكن "**جلاديس**" كما قلت لك يا سيدي المفتش منذ البداية كانت فتاة سريعة التصديق، والواقع أنه ليس هناك أي شيء لم تكن لتصدقه إذا استطاع شاب وسيم أن يعرضه عليها بالطريقة الملائمة. فقال المفتش "**نيل**" بصوت المشدوه:

– استمري! فاستطردت الآنسة "**ماربل**" قائلة:

- ولعل الفكرة المتفق عليها كانت هي أن "**ألبرت**" سوف يزور السيد "**فورتسكيو**" في مكتبه في ذلك اليوم، وأنه بحلول هذا الوقت يكون «عقار الحقيقة» قد أحدث مفعوله. فيعترف السيد "**فورتسكيو**" بكل شيء إلخ، ولك أن تتصور مشاعر الفتاة المسكينة عندما سمعت أن السيد "**فورتسكيو**" قد مات. فقال المفتش "**نيل**" معارضا:

– لكن من المؤكد أنه كان من واجبها أن تتقدم للإبلاغ عن الحقيقة؟ فقالت الآنسة "**ماربل**" بحدة:

– ماذا كان أول شيء قالته عندما استجوبتها؟ فأجاب المفتش "**نيل**":

– قالت «أنا لم أفعل أي شيء». فقالت الآنسة "**ماربل**" بلهجة الانتصار:

– بالضبط.. ألا ترى أن هذا هو ما يمكن أن تقوله بالضبط؟ إذا كسرت "**جلاديس**" زهرية فإنها تقول دائمًا أنا لم أكسرها يا آنسة"**ماربل**".. ولا أعرف كيف كسرت .. إن المسكينات ليس أمامهن غير هذا... إنهن ينزعجن كثيرا مما يصدر عنهن من الأخطاء وتكون فكرتهن الأولى هي تجنب اللوم، لعلك لا تتوقع من فتاة مضطربة قتلت شخصا لم تكن لتقصد قتله أن تعترف لك بهذا؟ إنه أمر خارج عن طبيعة الأشياء. فقال المفتش "**نيل**":

– نعم... أظن هذا. وعاد المفتش "**نيل**" بذاكرته إلى مقابلته مع "**جلاديس**".. كانت عصبية مضطربة شاعرة بذنب زائغة النظرات... كل هذا كان يمكن أن تكون له دلالات يسيرة، أو دلالات أكبر.. لم يكن بوسعه في الواقع أن يلوم نفسه لعجزه عن استخلاص النتائج الصحيحة مما رأى وقتها. ثم استرسلت الآنسة "**ماربل**" في حديثها المثير قائلة:

- كانت فكرتها الأولى، كما قلت لك، هي أن تنكر كل شيء. وبدا لها أن تحاول فهم الموقف بكيفية ما... فربما كان "**ألبرت**" لم يعرف قوة مفعول العقار، أو ربما أخطأ وأعطاها كمية كبيرة... إن مثلها يمكن أن تتلمس له الأعذار وتسعى إلى التفسيرات.. ولعل الأمل خامرها في أن يعمل على الاتصال بها. وهو ما فعله بالطبع.. وكان الاتصال بالتليفون. فقال المفتش "**نيل**" بحدة:

- هل تعرفين هذا أيضاً؟

- لا.. أعترف لك بأنني أقول هذا افتراضا... لكن حدثت فعلا مكالمات تليفونية لا تفسير لها في ذلك اليوم... أعني كان هناك أناس يدقون التليفون وعندما كان "**كرامب**" أو زوجته يقومان بالرد، كانت السماعة توضع عند الطرف الآخر... وهذا هو ما يمكن أن يفعله صاحبنا.. يدق التليفون، ثم ينتظر إلى أن ترد "**جلاديس**" وعندئذ يتفق معها على موعد لمقابلته. فقال المفتش "**نيل**":

- تقصدين أنه وعدها باللقاء في اليوم الذي توفيت فيه؟ فأومات الآنسة "**ماربل**" بقوة قائلة:

- نعم. كل الدلائل تثبت أن السيدة "**كرامب**" كانت مصيبة في شيء معين... قالت :«إن الفتاة لبست أحسن جواربها النايلون وأحدث حذاء عندها».. وكان معنى هذا في نظرها أن الفتاة كانت على موعد مع شخص ما، والخلاف الوحيد هو أنها لم تكن ذاهبة لمقابلته خارج البيت... إنه كان آتيا بنفسه إلى «**يورتري لودج**»... وهذا هو السبب في أنها كانت دائمة التطلع إلى الباب في ذلك اليوم وأقرب إلى الارتباك، حتى تأخرت عن تقديم الشاي.. ثم بعد أن أحضرت الصينية الثانية إلى الصالة ففي ظني أنها تطلعت وهي في الممشى إلى الباب الجانبي، ورأته هناك يشير إليها... فوضعت الصينية في الصالة وخرجت لمقابلته. فقال المفتش "**نيل**":

- وعندئذ خنقها.. فزمت الآنسة "**ماربل**" شفتيها قائلة:

- إن هذا لم يكن ليستغرق أكثر من دقيقة لكنه لم يكن ليستطيع المجازفة بتركها تتكلم... كان لا بد لتلك الفتاة الساذجة المسكينة أن تموت... وبعد

ذلك وضع مشبك غسيل على أنفها! قالت السيدة المسنة هذا بصوت يتموج غضبا، وأضافت:

– فعل هذا لكي يجعل الواقعة تنطبق مع عناصر الأغنية حبوب الشعير، والطيور السوداء، وبيت مال الملك، والخبز والعسل، ثم مشبك الغسيل.. كان مشبك الغسيل هو أقرب شيء وجده لجعل الحكاية متمشية مع العصفور الذي نقر أنف الوصيفة في الأغنية! فقال المفتش "**نيل**" بتؤدة:

– وأظن في النهاية أنه سوف يذهب إلى سجن «دار تمور» ولا نتمكن من الحكم عليه بالإعدام؛ لأنه مجنون. فقالت الآنسة "**ماربل**":

– أظن أنكم ستتوصلون إلى الحكم عليه بالإعدام ما في ذلك شك.. ثم إنه ليس بالمجنون أيها المفتش بأية حال. راح المفتش "**نيل**" يحدجها بشدة قائلا:

– اسمعي يا آنسة "**ماربل**"! أراك شرحت أمامي نظرية نعم.. نعم.. على الرغم من قولك أنك تعرفين، فهي مجرد نظرية... تقولين إن هناك رجلا يعد مسؤولا عن هذه الجرائم، وإنه يدعو نفسه "**ألبرت إيفانز**"، وإنه التقى بالفتاة "**جلاديس**" في معسكر للإجازات الصيفية واستعان بها لتنفيذ أغراضه.. و"**ألبرت إيفانز**" هذا هو شخص كان يريد الانتقام بسبب مسألة "منجم الطيور السوداء"... فهل تشيرين بهذا إلى أن ابن السيدة "**ماكنزي**" "**دونالد ماكنزي**"، لم يمت في معركة "**دنكرك**"، وأنه لا يزال حيا، وأنه وراء كل هذه الأحداث؟ ولشد ما دهش المفتش "**نيل**" عندما رأى الآنسة "**ماربل**" تهز رأسها بعنف قائلة:

– أنا لا أشير إلى شيء كهذا أبدا... ألا ترى أيها المفتش أن حكاية الطيور السوداء هذه ليست سوى خدعة وتلفيق؟ كل ما هناك أنها استخدمت، واستخدمت من جانب شخص سمع عن الطيور السوداء.. الطيور التي وضعت في غرفة المكتب وتلك التي وضعت في الفطيرة.. كانت الطيور السوداء مسألة حقيقية لا شك فيها.. إنها وضعت في المكانين بفعل شخص كان يعرف موضوع المنجم القديم، وأراد أن ينتقم بسببه.. ولكنه فقط انتقم بمحاولة ترويع السيد "**فورتسكيو**" ببلبلة أفكاره... والحقيقة يا سيدي المفتش أنني لا أعتقد أنه

بالإمكان تربية الأطفال وتنشئتهم على التفكير في الانتقام وانتظار تحقيقه... إن الأطفال لهم عقول تفكر لكن الشخص الذي يشعر بأن أباه قد ظلم وكان ضحية النصب والاحتيال وتعرض للموت لهذا السبب ـ قد يكون ميالا إلى القيام بخدعة قاسية ضد الشخص المظنون به أنه فعل هذا.. وهذا ما حدث فيما أعتقد... وقد استعان القاتل بهذه الحقيقة واستغلها. فقال المفتش "**نيل**" :

– القاتل... تكلمي الآن يا آنسة "**ماربل**".. دعينا نعرف أفكارك عن القاتل.. من هو؟ فقالت الآنسة "**ماربل**" :

– إنك لن تدهش إذا قلت لك... لأنك سوف ترى أنه أهل لأن يرتكب هذه الجرائم... إنه سليم العقل، موفور الذكاء، وعديم الضمير... وهو قد فعل هذا بالطبع من أجل المال... وربما من أجل المال الكثير.

– "**برسيفال فورتسكيو**"؟ قال المفتش ذلك في نبرات أقرب إلى الاستعطاف... ولكنه أدرك وهو يفوه بهذا الاسم أنه مخطئ ... فإن صورة الرجل التي رسمتها الآنسة "**ماربل**" أمامه لم تكن مشابهة لصورة "**برسيفال فورتسكيو**". قالت الآنسة "**ماربل**" :

– آه.. لا.. ليس "**برسيفال**".. هو "**لانس**"!

- 22 -

هتف المفتش "**نيل**" قائلا:

– هذا مستحيل! ومال في مقعده إلى الخلف وراح يراقب الآنسة "**ماربل**" مبهورا... إنه لم يدهش كما قالت الآنسة "**ماربل**".. كانت كلماته أقرب إلى احتمال إمكانية الشيء منها إلى النفي المطلق.. إن "**لانس فورتسكيو**" كانت تنطبق عليه هذه الصفات التي حددتها الآنسة "**ماربل**"... وكل ما هنالك أن المفاجأة فقط هي التي جعلته يقول ما قاله. ولم تلبث الآنسة "**ماربل**" أن مالت في مقعدها إلى الأمام، وراحت تبسط نظريتها بهدوء وإقناع كما يفعل أستاذ

الرياضيات لتلميذه الصغير قائلة:

- إن "**لانس**" كان دائما رديئا...رديئا ظاهرا وباطنا... وإن جمع إلى هذا جاذبية وافرة.. خصوصا حيال النساء... إنه وهب عقلا شديد الذكاء، واستعدادا فطريا للمغامرة.. لقد كان دائم المغامرة، وبسبب جاذبيته فإن الناس كانوا يحسنون الظن به دائمًا، ولا يحملون أفعاله على محمل السوء، وهو قد جاء إلى هنا في الصيف لمقابلة والده... ولست أعتقد لحظة أن والده كتب إليه أو أرسل يستدعيه... اللهم إلا إذا توافر لديك الدليل على هذا. وتوقفت برهة متسائلة... فهز المفتش "**نيل**" رأسه قائلا:

- لا... لا دليل عندي على أن والده يستدعيه....لقد عثرت على خطاب مفروض أن "**لانس**" كتبه إليه بعد أن كان هنا.. لكن كان بإمكان "**لانس**" أن يدس هذا الخطاب بسهولة بين أوراق والده في مكتبه هنا في البيت يوم وصوله. فاومأت الآنسة "**ماربل**" قائلة:

- يا لذكائه الخارق! لا بأس. المرجح أنه طار من "**إفريقيا**" إلى هنا في محاولة منه لاسترضاء والده... ولكن السيد "**فورتسكيو**" ما كان ليقبل هذا... والمسألة هي أن "**لانس**" تزوج حديثا وكان الإيراد القليل الذي يعيش منه، بالإضافة إلى ما كان يحصل عليه لا شك بطريق غير شريف لا يكفيه بأية حال.. كان غارقا في حب "**باتريشيا**" وهي في الواقع فتاة كريمة، وكان يريد أن يحيا معها حياة محترمة مستقرة لا انحراف فيها... وكان معنى هذا من وجهة نظره، وجوب الحصول على مال كثير.. ولابد من أنه سمع وهو في "**يورتري لودج**" عن حكاية الطيور السوداء... ربما يكون والده قد ذكرها أمامه... وربما فعلت "**أديل**" هذا... فاستخلص على الفور أن ابنة "**ماكنزي**" موجودة في البيت وخطر له أنها تصلح جدًا لكي تكون كبش الفداء الذي يريده لارتكاب جريمة القتل. ذلك لأنه عندما أدرك أنه لم يستطع حمل أبيه على أن يفعل ما كان يريد، لا بد من أنه قد صمم على التخلص منه بقتله.. وربما علم أن والده لم يكن على ما يرام من الناحية الصحية، فخاف إن هو انتظر حتى يموت ميتة طبيعية أن تنتهي الشركة إلى الإفلاس

التام. فقال المفتش "**نيل**" :

– إنه كان يعرف فعلا حقيقة حالة والده الصحية.

– آه... إن هذا يفسر شيئا كثيرا... وأغلب الظن أن مصادفة تسمية أبيه "**ريكس**" «أي الملك» مقترنة بحادثة الطيور السوداء قد أوحت إليه بفكرة «أغنية دار الحضانة»... لقد فكر عقله الخصب في أن يجعلها قصة جنونية، ويربطها بحكاية التهديد القديم من أسرة "**ماكنزي**" للانتقام.. وبعد ذلك يمكنه التخلص من "**أديل**" أيضًا، وإبقاء مبلغ المائة ألف جنيه في مالية الشركة... لكن كانت تنقصه من عناصر الأغنية شخصية ثالثة هي شخصية «الوصيفة التي تنشر الغسيل في الحديقة». وأظن أن هذا هو ما أوحى إليه بالخطة الشيطانية كلها.. كان يريد شريكة بريئة يمكنه إسكاتها قبل أن تتكلم.. ومن شأن هذا أن يوفر له إثباتا حقيقيا لبعده عن مكان الجريمة الأولى وقت وقوعها، والباقي كان شيئا سهلا... فإنه وصل إلى هنا من المحطة قبيل الساعة الخامسة، وهو الموعد الذي كانت فيه "**جلاديس**" تحمل الصينية الثانية في الصالة... إنه جاء إلى الباب الجانبي ورآها وأشار إليها... ومسألة خنقها وحمل جثتها خلف المنزل إلى حيث حبل الغسيل لم تكن لتستغرق منه أكثر من ثلاث أو أربع دقائق... وبعد ذلك دق جرس الباب الأمامي ودخل إلى البيت وانضم إلى الأسرة وهي تشرب الشاي... وبعد الشاي صعد لمقابلة الآنسة "**رامسيوم**".. وعندما نزل تسلل إلى قاعة المكتبة حيث وجد "**أديل**" وحدها تشرب فنجانا أخيرا من الشاي... فجلس بجانبها على الأريكة وبينما كان يحادثها حاول أن يدس لها سم "**السيانيد**" في قدح الشاي... لم تكن هذه بالمسألة الصعبة كما ترى... فهي حبة صغيرة بيضاء مثل قطعة السكر... وربما مد يده إلى السكرية وتظاهر بأخذ قطعة منها ثم دس الحبة في القدح. إن مثله يفعل هذا ويقول ضاحكا: «انظري... إنني وضعت قطعة سكر في قدحك!».. فلا تقابل منه ذلك إلا بالتسامح.. وتقلب السكر وتشرب الفنجان... المسألة بالنسبة إليه سهلة وجريئة... فهو مطبوع على الجرأة والمجازفة. فقال المفتش "**نيل**" بتؤدة:

– هذا ممكن في الواقع... نعم... لكني لا أستطيع أن أرى يا آنسة "**ماربل**" ماذا كان ينتظر أن يجنيه من هذا؟ إذا سلمنا بأنه ما لم يمت "**فورتسكيو**" العجوز فإن الشركة كانت ستفلس سريعا، فهل نصيب "**لانس**" فيها من الضخامة مما يجعله يخطط لارتكاب ثلاث جرائم قتل؟ أنا لا أظن هذا! لا أظن هذا حقيقة! فأقرته الآنسة "**ماربل**" على رأيه قائلة:

– هذه مسألة صعبة فعلا.. نعم.. إنني أتفق معك في هذا الرأي. هناك صعوبات من هذه الوجهة... أظن.. وترددت برهة وجعلت تنظر إلى المفتش ثم قالت:

– أظن – وإن كنت جاهلة في الشؤون المالية ـ أن "منجم الطيور السوداء" هو منجم ثمين حقيقة... وينتظر أن يعطي إنتاجا عظيما. أخلد المفتش "**نيل**" إلى التفكير والتأمل.. لقد بدأت صور جزئية مختلفة تترابط الآن في ذهنه: استعداد "**لانس**" لقبول أسهم وسندات المشروعات المهتزة غير المضمونة النجاح لكي تكون نصيبه في الشركة .. كانت كلماته الأخيرة التي قالها اليوم في "**لندن**" ناصحا "**برسيفال**" أن يعجل بالتخلص من هذا المنجم وأعبائه.. منجم ذهب... لا قيمة له.. مع ذلك فإن هذا يبدو غير ممكن.. فإن "**ريكس فورتسكيو**" لم يكن بالرجل الذي يرتكب مثل هذه الغلطة فيحتفظ بمنجم لا قيمة له، وأين ذلك المنجم؟ في شرق "**إفريقيا**" .. إن "**لانس**" قد جاء من شرق "**إفريقيا**" منذ فترة قريبة... فترى هل عنده معلومات سرية بهذا الخصوص؟ وفجأة وثبت صورة أخرى إلى ذهن المفتش... كان يقرأ جريدة "**التايمز**" في القطار منذ فترة عندما قرأ نبأ العثور على معدن "**اليورانيوم**" الثمين في "**تنجانيقا**" .. ماذا لو كان "**اليورانيوم**" قد اكتشف في موقع "منجم الطيور السوداء"؟ لو صح هذا لكان فيه تفسير لكل شيء.. إن "**لانس**" قد توصل إلى معرفة هذه البيانات لوجوده على المسرح هناك، وباكتشاف «**اليورانيوم**» في المنطقة، تصبح في متناوله ثروة ضخمة لا حدود لها! ولم يلبث المفتش "**نيل**" أن تنهد... ونظر إلى الآنسة "**ماربل**"... قال بلهجة العتاب:

– كيف تنتظرين مني أن أتوصل إلى إثبات كل هذا؟ أومأت إليه الآنسة "**ماربل**"

مـشـجـعـة ، كـأم رؤوم تشـجع ابنهـا النجـيب وهو على باب الامـتـحـان الجـامـعي النهائي . . . وقالت له :

– سـوف تثـبت كل شـيء بالدليل القـاطع . . أنت رجل شـديد الذكـاء أيهـا المفـتش . . لقـد تأكـدت هذا منذ البـداية . . . الآن وقـد عـرفت من القـاتل، فسوف يكون في مقدورك الحصول على الإثباتات اللازمة . في معسكر الإجازات الصيفية مثلا . . فسوف يمكنهم أن يعرفوا صورة "**لانس**" . . . وسيكون من الصعب عليه أن يفسر السبب الذي جعله يقيم هناك مدة أسبوع . . منتحلا اسم "**ألبرت إيفانز**" .

نعم . . . إن "**لانس فورتسكيو**" مخلوق ذو دهاء شديد ولا يتورع عن شيء . . . لكن المفتش "**نيل**" كان واثقا بأنه سوف يتمكن منه في النهاية . ثم التفت إلى الآنسة "**ماربل**" قائلا :

– مهما يكن فإنني عرفت أمثال هذا المجرم من قبل . فأومأت الآنسة "**ماربل**" قائلة :

– نعم . . ولهذا فإنني واثقة مطمئنة .

– تقصدين لخبرتك بالجرائم والمجرمين؟

– آه . . . لا . . لا بالطبع . . . هناك سبب آخر هو "**باتريشيا**" تلك الفتاة الطيبة . . . إن مثلها تتزوج دائما الرجل الشرير . . . وهذا هو في الواقع ما لفت نظري إليه منذ البداية .

– بقيت هناك مع ذلك نقاط معينة تحتاج إلى تفسير مسألة "**روبي ماكنزي**" مثلا بإمكاني أن أقسم أن . . . فقاطعته الآنسة "**ماربل**" قائلة :

– أنت على صواب تماما . . لكنك كنت أول مرة تفكر في الشخص الخطإ . . . اذهب الآن وتكلم مع السيدة "**برسيفال**" .

❖❖❖❖❖

قال المفتش "**نيل**" :

– السيدة "**برسيفال**".. هل عندك مانع من بيان اسمك قبل الزواج؟

– آه. فاهت "**جنيفر**" بهذا في شهقة قوية وقد تجلى الخوف الشديد في وجهها. فقال المفتش "**نيل**":

– لا لزوم للخوف يا سيدتي... لكن الأفضل أن تذكري لنا الحقيقة... أظنني على صواب إذا قلت إن اسمك قبل الزواج كان "**روبي ماكنزي**"؟ فقالت السيدة "**برسيفال**":

– آه... اسمي... آه... لا بأس.. ولماذا لايكون هكذا؟فقال المفتش برقة:

– لا سبب بالمرة.. إنني كنت أتكلم مع والدتك في مصحة "**باينوود**" منذ أيام قليلة. فقالت "**جنيفر**":

– إنها غاضبة عليّ جداً... إنني لا أذهب الآن لزيارتها؛ لأن ذلك يسبب لها الكدر. مسكينة أمي.. كانت شديدة التعلق بأبي.

– وقد تولت تربيتك على أساس فكرة الانتقام؟ فقالت "**جنيفر**":

– نعم... إنها ظلت تحملنا على أن نقسم لها بالكتاب المقدس على ألا ننسى أبدا السعي إلى قتل "**فورتسكيو**".. يوما ما، وبالطبع فإنني ما كدت أمارس عملية التمريض في المستشفيات حتى بدأت أدرك أن حالتها العقلية ليست على ما يرام.

– لا بد من أنك أنت نفسك يا سيدة "**برسيفال**" قد شعرت يوما بالميل إلى الانتقام؟

– حسنا.. بالطبع شعرت بهذا... إن "**ريكس فورتسكيو**" قتل أبي... ولست أعني أنه أطلق عليه رصاصة أو طعنه بخنجر أو أي شيء من هذا القبيل.. لكنني واثقة تماما بأنه ترك أبي يموت... هذا وذاك سواء، أليس كذلك؟

– أدبيًّا بلى. فقالت "**جنيفر**":

– هكذا أردت فعلا أن أرد له الدين... وعندما جاءت ممرضة من زميلاتي لتمريض ابنه "**برسيفال**" في مرضه حملتها على الانسحاب واقتراح وجودي بدلا منها... ولا أعرف في الواقع ما الذي كنت أنوي عمله... لكنني لم أفكر قط في

قتل السيد "**فورتسكيو**"... كانت عندي فيما أظن بعض أفكار عن تمريض ولده بصورة تؤدي إلى موته.. .لكن الممرضة المخلصة لا تفعل شيئا كهذا... والواقع أنني تفانيت في تمريض "**برسيفال**" إلى درجة أنه تعلق بي وسألني بعد شفائه أن أتزوجه.. فقلت لنفسي: «حسنا... الحقيقة أن هذا انتقام أكثر معقولية من أي شيء آخر!» أعني أن أتزوج الابن الأكبر لـ "**فورتسكيو**" وبذلك أسترد المال الذي اغتصبه من أبي بطريق النصب والاحتيال... أظن أنها كانت خطة أكثر تعقلا وحكمة! فقال المفتش "**نيل**":

– نعم... فعلا. ثم أضاف المفتش قائلا:

– وأظن أنك أنت التي وضعت الطيور السوداء الميتة فوق مكتبه وفي الفطيرة المحشوة باللحم؟ فاحمر وجهها وراحت تقول:

– نعم... أظن أن هذا العمل كان حماقة مني في الواقع، لكن السيد "**فورتسكيو**" جلس ذات يوم يتفاخر بمقدرته في خداع الناس والاحتيال عليهم بطريقة قانونية... وخطر لي أن أدخل الفزع إلى قلبه.. وقد أفزعه هذا العمل فعلا.

ثم أضافت تقول بلهجة القلق:

– لكنني لم أفعل أي شيء آخر! لا أظنك تتصور يا حضرة المفتش أنني أقتل أي إنسان؟ فقال المفتش "**نيل**" باسما:

– لا.. على فكرة، هل أعطيت الآنسة "**دوف**" أي مال في الفترة الأخيرة؟ فتدلى فكها على الفور وقالت:

– وكيف عرفت؟

– إننا نعرف أشياء كثيرة! وأضاف المفتش في سره: «ونستنتج أشياء أكثر!»

فراحت "**جنيفر**" تقول مسرعة:

– إنها جاءتني وقالت إنك اتهمتها بأنها هي "**روبي ماكنزي**" وقالت إنها إذا أخذت مني مبلغ خمسمائة جنيه فإنها ستعمل على استمرار هذه الفكرة عندك. وقالت أيضا إنك إذا عرفت أنني "**روبي ماكنزي**" الحقيقية فإن البوليس سوف يتهمني بقتل السيد "**فورتسكيو**" وزوجته... وكنت في ورطة شديدة لتدبير هذا المبلغ إذ لم أستطع أن أخبر "**برسيفال**" بالطبع... فهو لا يعرف الحقيقة

عني... وقد اضطررت إلى بيع خاتم الخطبة الألماسي مع عقد ثمين كان هدية لي من السيد "**فورتسكيو**". فقال المفتش "**نيل**":

– لا تقلقي يا سيدة "**برسيفال**".. أظن أننا سوف نرد لك مالك. وفي اليوم التالي تم لقاء جديد بين المفتش "**نيل**" والآنسة "**ماري دوف**". قال لها المفتش:

– ترى يا آنسة "**دوف**" هل يمكن أن تعطيني شيكا بمبلغ خمسمائة جنيه لحساب السيدة "**برسيفال فورتسكيو**"؟ ولأول مرة تلذذ المفتش "**نيل**" بمشاهدة علامات الاضطراب في وجه الآنسة "**دوف**".. وقالت له:

– أظن أن تلك المرأة الحمقاء أخبرتك!

– نعم.. إن التهديد والابتزاز يا آنسة "**دوف**" تهمة خطيرة.

– لم يكن هذا ابتزازا بمعنى الكلمة يا سيدي المفتش، كان مجرد خدمة قمت بها للسيدة "**برسيفال**".

– لا بأس.. إذا أعطيتني الشيك فإن المسألة سوف تنتهي عند هذا الحد. فأخرجت الآنسة "**دوف**" دفتر شيكاتها وتناولت قلما وقالت متنهدة:

– هذا شيء يضايق.. إنني أعاني الضيق هذه الأيام.

– أظنك سوف تبحثين عن عمل آخر؟

– نعم.. إن العمل هنا لم يعد كما كنت آمل. فقال المفتش "**نيل**":

– نعم.. لأنه وضعك في مأزق.. أليس كذلك؟ أعني أنك أصبحت عرضة في أي وقت لكي نبحث في سوابقك؟ فرفعت "**ماري دوف**" حاجبيها وقالت وقد عادت إليها رباطة جأشها المعهودة:

– الحقيقة يا حضرة المفتش أن ماضيّ بلا عيوب.

– نعم.. هو كذلك.. ليس لدينا شيء ضدك بالمرة يا آنسة "**دوف**".. لكن من المصادفات الغريبة أنه حدثت في الأمكنة الثلاثة التي تركت خدمتها سرقات وقعت خلال ثلاثة أشهر بعد خروجك من الخدمة... ويبدو أن اللصوص كانوا على علم تام بأمكنة حفظ المجوهرات ومعاطف الفراء وغيرهما من النفائس! هي مصادفات غريبة، أليس كذلك؟

– مثل هذه المصادفات تحدث فعلا ياسيدي المفتش. فقال "**نيل**":

– نعم.. إنها تحدث فعلا... لكن يجب ألا تتكرر هذه المصادفات يا آنسة "**دوف**" بصورة تؤدي إلى أن نتلاقى مرة أخرى في المستقبل. فقالت "**ماري دوف**":

– لا أريد أن أكون فظة معك، ولكنني أدعو الله ألا نتقابل في المستقبل!

- 23 -

حزمت الآنسة "**ماربل**" حقيبة ملابسها وأدارت نظرها في غرفة نومها لكي تتأكد أنها لم تنس شيئًا. وجاء "**كرامب**" ليحمل الحقيبة، بينما انتقلت هي إلى الغرفة المجاورة لتوديع الآنسة "**رامسيوم**". قالت لها الآنسة "**ماربل**":

– يؤسفني أنني قابلت ضيافتكم بغير ما تستحق.. وأرجو أن يكون بوسعك أن تصفحي عني يوما ما. فقالت الآنسة "**رامسيوم**" وقد رفعت نظراتها عن ورق اللعب، وتطلعت إلى الآنسة "**ماربل**" بنظرة جانبية كلها دهاء:

– أظنك وجدت ما كنت تريدين؟

– نعم.

– وأظنك أخبرت مفتش البوليس هذا بكل شيء؟ هل سيكون في قدرته أن يثبت قضيته؟ فأجابت الآنسة "**ماربل**":

– أنا واثقة بهذا.. وإن كان ذلك يستغرق بعض الوقت. فقالت الآنسة "**رامسيوم**":

– إنني لن أوجه إليك أية أسئلة.. أنت امرأة قديرة.. وقد عرفت هذا من أول لحظة رأيتك فيها.. إنني لا ألومك على ما فعلت.. إن الشر هو الشر، ولابد من أن يجد الشرير عقابه... هناك عرق فاسد في هذه العائلة... لكنني أحمد الله أنه لم يجئ من جانبنا.. كانت أختي "**ألفيرا**" بلهاء ساذجة... هذا كل ما هناك. ثم أضافت الآنسة "**رامسيوم**" وهي تمسك بورقة:

– الولد الشقي... جميل الصورة.. ولكنه أسود القلب.. نعم.. كنت أخشى هذا.. لا بأس.. لا يمكن للإنسان دائما أن يقاوم محبة شخص آثم.. إن الفتى

كان جذاب الشخصية، وقد استطاع أن ينفذ إلى قلبي.. إنه كذب فيما قاله في تلك المرة التي انصرف فيها من عندي ذلك اليوم، إنني لم أكذبه ولم أناقض أقواله، ولكنني كنت أتساءل في نفسي.. منذ ذلك الحين.. لكنه كان ابن أختي "**ألفيرا**"... ولم يطاوعني قلبي على أن أقول شيئا... لا بأس... أنت امرأة صالحة مستقيمة يا "**جين ماربل**"، ولا بد من أن تنتصر الحقيقة في النهاية... ومع ذلك فإنني أشعر بالأسف على زوجته. فقالت الآنسة "**ماربل**":

– كذلك أنا. وكانت "**باتريشيا**" في الصالة تنتظر لتوديعها... وقد قالت لها:

– ليتك لم تكوني ذاهبة، سنفتقدك كثيرا. فقالت الآنسة "**ماربل**":

– حان الوقت لذهابي.. إنني أتممت ما جئت إلى هنا من أجله.. إنه لم يكن عملا سارا تماما.. لكن كان من الضروري ألا ينتصر الشر.

– إنني لا أفهم!

– لا يا عزيزتي. لكن ربما تفهمين يوما ما.. إذا جاز لي أن أنصح بشيء، وإذا حدث يوما شيء ما في حياتك فأظن أن أسعد شيء لك هو أن تعودي إلى حيث كنت سعيدة في أثناء طفولتك.. عودي إلى "**أيرلندا**" يا عزيزتي حيث خيولك وكلابك ودنياك المحبوبة هناك. فأومأت "**بات**" قائلة:

– أحيانا أتمنى لو فعلت هذا عندما توفي زوجي.. لكن لو كنت فعلت هذا لما تهيأ لي قط أن ألتقي بـ "**لانس**". قالت هذه الكلمات الأخيرة وفي صوتها رقة وحنان.. فتنهدت الآنسة "**ماربل**".. بينما مضت "**بات**" تقول:

– إننا لن نبقى هنا.. سوف نعود إلى شرق "**إفريقيا**" حينما يسوى كل شيء إنني مسرورة جدًا بهذا.

– بارك الله فيك يا بنتي العزيزة... الإنسان يحتاج إلى قدر كبير من الشجاعة لمواجهة الحياة.. وأظن أن فيك هذه الصفة. وربتت يد الفتاة... ثم خرجت من الباب الأمامي إلى سيارة الأجرة التي كانت في انتظارها وهي حزينة من أجل هذه الفتاة.

◆◆◆◆◆

الخاتمة

وصلت الآنسة "**ماربل**" إلى بيتها ذلك المساء في وقت متأخر. وما كادت تستريح قليلا حتى جاءتها الخادمة بالرسائل الواردة إليها، وفي مقدمتها رسالة قالت إنها أرسلت خطأ إلى الجيران المتغيبين عن المنزل، والذين عادوا اليوم فقط وسلموها الرسالة. سارعت الآنسة "**ماربل**" بفتح الرسالة ذات الخط المتشابك المطموس الذي كانت تعرف صاحبته.. فوجدتها بالنص الآتي:

سيدتي العزيزة:

أرجو أن تسامحيني لكتابة هذا الخطاب ولكنني لا أعرف ماذا أفعل.. فإنني لم أقصد شرا ولا ضررا لأي أحد.. إنك قرأت الجرائد ياسيدتي بلا شك، وفيها قالوا إنها جريمة قتل لكنني لم أرتكبها؛ لأنني لا أفعل شيئا ضارا مثل هذا وأعرف أن "**ألبرت**" لا يفعله أيضًا.. إنني لا أعرف كيف أوضح لك، لكننا تقابلنا في الأسبوع الماضي وكنا على وشك الزواج، لولا أن "**ألبرت**" كان ضحية النصب والاحتيال من جانب السيد "**فورتسكيو**" الذي توفي الآن... ولكن السيد "**فورتسكيو**" أنكر كل شيء... وبالطبع كل إنسان يصدقه ولا يصدق "**ألبرت**"؛ لأنه رجل غني و"**ألبرت**" شاب فقير.. لكن "**ألبرت**" كان له صديق يشتغل في معمل يصنعون فيه هذه العقاقير الجديدة التي تسمى عقاقير الصدق.. ولا شك في أنك قرأت عنها في الجرائد، وهي تجعل الناس يقولون الحقيقة والصدق سواء أرادوا أم لم يريدوا، وكان المقرر أن يقابل "**ألبرت**" السيد "**فورتسكيو**" يوم 5 تشرين الثاني (نوفمبر) ومعه محاميه، وكان عليَّ أن أعطيه العقار مع طعام الإفطار في صباح ذلك اليوم، فيفعل العقار مفعوله في الوقت المحدد عند حضور "**ألبرت**" والمحامي، ويعترف أمامهما بحقوق "**ألبرت**" التي سلبها... إنني وضعت العقار في علبة المربى فعلا، ولكنه توفي، وأعتقد أنه تناول كمية أكثر من اللازم، ولكنها ليست غلطة "**ألبرت**"؛ لأنه لا يمكن أن يفعل شيئا كهذا.. لكنني لا يمكن أن أبلغ البوليس وإلا ظنوا أن "**ألبرت**" فعل هذا عن قصد وأنا أعرف أنه لم يقصد

ما حدث... آه يا سيدتي... إنني لا أعرف ماذا أفعل وماذا أقول... والبوليس هنا في البيت والحالة مخيفة، وهم يسألون أسئلة كثيرة وينظرون إلى الإنسان بشراسة، ثم إنني لم أسمع شيئا من طرف "**ألبرت**".. فإذا أمكنك يا سيدتي الحضور إلى هنا ومساعدتي فإنهم سيستمعون إليك وكنت دائما عطوفًا عليَّ... إنني لم أقصد أي ضرر وكذلك "**ألبرت**".. فإذا أمكنك المساعدة فلا تتأخري.

لك احتراماتي

"**جلاديس مارتن**"

ملحوظة - أرفق مع الخطاب صورة لي مع "**ألبرت**"، التقطها أحد نزلاء معسكر الإجازات وأعطاها لي.. إن "**ألبرت**" لا يعرف شيئا عن هذه الصورة؛ لأنه يكره التصوير... لكن يمكنك أن تري يا سيدتي إلى أي درجة هو شاب جميل.

راحت الآنسة "**ماربل**" تحدق إلى الصورة الفوتوغرافية... كان الاثنان اللذان جمعتهما الصورة ينظران إلى بعضهما... ونقلت الآنسة "**ماربل**" نظراتها من وجه "**جلاديس**" المشغوف إلى الوجه الآخر - الوجه الأسمر الوسيم الباسم... وجه "**لانس فورتسكيو**". لم تتمالك الآنسة "**ماربل**" أن امتلأت عيناها بالدموع.. ثم أعقب الدموع شعور غضب جارف.. ضد قاتل متحجر الفؤاد ومن بعد الغضب جاءت نشوة الانتصار... انتصار العدالة على الجاني الأثيم، وقد ضاقت الحلقة حول عنقه بهذا الدليل الأخير، ولم يبق مفر من أن ينال جزاءه العادل.

تمّت بعون الله

هذه هي أسماء وأرقام الروايات التي يمكنكم طلبها...

سارع في إرسال طلبك !

1	ابنة الفراعنة	23	جريمة على الشاطىء
2	جريمة الفندق	24	الجرائم الثلاث
3	أخطاء القضاء	25	جريمة في بيت الطالبات
4	أدلة الجريمة	26	جريمة في الجو
5	الإرث الدامي	27	جريمة في الصحراء
6	أصابع الاتهام	28	جريمة في قطار الشرق
7	امرأة خطرة	29	جريمة قتل
8	بصمات الأصابع	30	الجريمة الكاملة
9	بواعث الجريمة	31	امرأة في مأزق
10	بيت الأهوال	32	الجريمة المستحيلة
11	التضحية الكبرى	33	الجريمة المعقّدة
12	الثلوج الدامية	34	الشاهدة الوحيدة
13	الجثة التي اختفت	35	جزيرة الموت
14	الجثة الثانية	36	جنون الانتقام
15	جثة في المكتبة	37	الحادث
16	الجريمة الأخيرة	38	الحب الذي قتل
17	جريمة أم	39	الحب والجريمة
18	جريمة فنية	40	ذات القناع الأسود
19	جريمة بلا شهود	41	ذات الوجهين
20	الجريمة تدق الباب	42	رجل بلا وجه
21	جريمة حب	43	غانية باريس
22	جريمة عائلية	44	رصاصة في الرأس

اقطع الكوبون ، وضع علامة ☒ على رقم الروايات التي تريدها، وأرسله مع الشيك بالبريد المسجل (المضمون) على العنوان التالي :

دار ميوزيك : ص.ب 374 - جونيه - لبنان

ملاحظة : جميع الشيكات باسم : Dar Music

وأن يكتب على الشيك عبارة " يصرف للمستفيد الأول فقط "

10	9	8	7	6	5	4	3	2	1
20	19	18	17	16	15	14	13	12	11
30	29	28	27	26	25	24	23	22	21
40	39	38	37	36	35	34	33	32	31
50	49	48	47	46	45	44	43	42	41
60	59	58	57	56	55	54	53	52	51
70	69	68	67	66	65	64	63	62	61
80	79	78	77	76	75	74	73	72	71
90	89	88	87	86	85	84	83	82	81
100	99	98	97	96	95	94	93	92	91

الاســـم : ______________________________

العـنـوان : ______________________________

ص .ب : ____________ المدينة : ____________ الرمز البريدي : ____________

الـدولــة : ______________________________ Email:

مرسل طيه شيك بمبلغ : ____________ دولار أمريكي .